جامعة غـــــرداية
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

التعليم الحر في منطقة غرداية

الشيخ علي بن دية (1310-1407هـ/ 1892-1987م) نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص : حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
سيد علي بن دية

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد حوتية
المشرف المساعد الأستاذ: عمر بن قايد

الموسم الجامعي: 1434- 1435هـ /2013-2014م

جامعه عـــــردايه
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

التعليم الحر في منطقة غرداية

الشيخ علي بن دية (1310-1407هـ/ 1892-1987م) نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص : حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
* سيد علي بن دية

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد حوتية
المشرف المساعد الأستاذ: عمر بن قايد

اللجنة المناقشة

د/	لخضر عواريب	رئيساً
أ.د/	محمد حوتية	مشرفاً ومقرراً
أ /	عمر بن قايد	مشرفاً مساعداً
أ /	جلول بن قومار.....	عضواً مناقشاً

الموسم الجامعي: 1434- 1435هـ /2013-2014م

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»

(رواه البخاري)

الإهـــــــــــــــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولايطيب النهار إلى بطاعتك .. ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك ..

ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك جل جلالك

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى والدي العزيز عبد الله

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني .. إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب: أمي الحبيبة خيرة

إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار إلى روح جدي الشيخ علي رحمه الله إلى روح جدتي الحاجة عائشة رحمها الله

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي إلى أخواتي مسعودة وخديجة وإلى أخوتي محمد،

عبد الكريم، عبد الحميد، عبد المجيد، بشير، عبد الوهاب، مختار وإلى زوجات إخوتي أهدي هذا العمل

إلى من سرنا سوياً ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع إلى من تكاتفنا يداً بيد إلى زملائي حرز الله، البوطي،

محمد، عبد السلام، محفوظ، إلى كل زميلاتي: عائشة، صبرينة، صورية،خيرة،أم الخير،أم السعد، العالية، زينب..

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من درر وعبارات من أسمى وأجلى عبارات في العلم

إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى أساتذتنا الكرام

إلى جميع الأصدقاء الذين ساعدوني في تحطيم الشوك لأصل للزهرة.إلى محمد،هشام، عبد الوهاب،

توفيق، عبد الرزاق... إلى كل باحث عن فكرة مضيئة تنير له زقاق الطريق.

وإلى أصحاب العقول النيرة، والبصائر المستنيرة ومن زرع فيّ روح المبادرة .

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع.

سيد علي

الشكر والتقدير

قال تعالى:[رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحاً تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ]

[النمل: 19]

أشكر الله سبحانه و تعالى على نعمه ،التي لا تعد و لا تحصى ، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك و لله الحمد من قبل و من بعد على توفيقه لي في إتمام هذا العمل.

وأتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد حوتية الذي شجعني على اختيار هذا الموضوع، وعلى تقديم التوجيهات والإرشادات كلما احتجت إليها، وشكري موصول كذلك إلى الأستاذ المساعد عمر بن قايد الذي لم يبخل علي هو الآخر في تصويبي وتوجيهي،كلما قصدته في ذلك، أسأل الله أن يجعل جهدهما في ميزان حسناتهما،

وأشكر كذلك الدكتور صالح بوسليم الذي كلما ذهبت إليه استقبلني بقلبه الرحب وذلك في تقديمه للنصائح والإرشادات، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور عبد الحليم بيشي الذي قدم لم يبخل علي في تقديم النصائح والإرشادات فيما يخص الموضوع، وشكري موصول إلى جميع المشايخ الذين قابلتهم وأفادوني في موضوعي هذا .

إلى عمال المكتبة وأخص بالذكر عبد الحكيم، عبد العزيز، حمزة، الحاج قاسم،

الذين لم يبخلوا علي طيلة السنوات الجامعية من تقديم للكتب كلما احتجت إليها،

ولا أنسى عمال مكتبة متليلي وأخص بالذكر عبد الله، عبد الرزاق. وشكري موصول كذلك إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل بداية بالأخ الفاضل محمد بن دبة الذي كان له الفضل الكبير في إنجاز هذا الموضوع من خلال توجيهي إلى مصادر المعلومات الخاصة بالشيخ علي، ولا أنسى أن أشكر الزميلة بوحميدة خيرة التي أفادتني بكثير من المعلومات الخاصة بالموضوع.كما أتوجه بالشكر إلى الصديق محمد أوناف الذي ساعدني في إتمام هته المذكرة، وقبل أن نمضي أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة. إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة...

إلى الذين مهدوا لى طريق العلم والمعرفة... إلى جميع أساتذتنا الأفاضل.

سيد علي

قائمة المختصرات باللغة العربية:

المصطلح	المعنى
ط	طبعة
ط خ	طبعة خاصة
ج	جزء
مج	مجلد
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ب ط	بدون طبعة
ب ت	بدون تاريخ
تر	ترجمة
(ص)	صلى الله عليه وسلم
ش و ن ت	شركة الوطنية للنشر والتوزيع
تح	تحقيق
تق	تقديم
م	ميلادي
هـــــ	هجري

المختصرات باللغة الأجنبية:

P	Page

مقدمة

يكتسي موضوع التعليم الحر في الجزائر من خلال تطوراته أهمية بالغة، وذلك إبتداء من العهد العثماني مرورا بفترة الاحتلال الفرنسي، إلى فترة ما بعد الاستقلال.

ويعد التعليم الحر من العوامل التي حافظت على مقومات الشخصية الجزائرية، بالرغم من الأساليب التي اتبعها الاستعمار الفرنسي من أجل الحد من فعالية مؤسساته التعليمية، والتعليم الحر من خلال مؤسساته التقليدية(المساجد، والزوايا، والمدارس القرآنية)، ومؤسساته الحديثة (المدارس الحرة الحديثة) شهد تطورا كبيرا،كما هو الحال في منطقة غرداية، والتي سنتطرق إلى حالة التعليم فيها، وقد ارتأيت أن يكون موضوع مذكرتي بعنوان التعليم الحر في منطقة غرداية الشيخ علي بن دية 1310-1407هـ/ 1892-1987م نموذجا.

دواعي اختيار الموضوع:

من البديهي أن لكل باحث ميول ورغبات في طريقة تناوله لموضوع بحثه من دواعي ذاتية وأخرى علمية، ويمكن أن أوجزها في الآتي:

- ميولي إلى دراسة المواضيع التاريخية المحلية، إضافة إلى تحفيز وتشجيع الأستاذ المشرف على اختيار مثل هذه المواضيع، خاصة فيما يتعلق بموضوع الشيخ علي بن دية.

- الرغبة في التعرف على أحوال التعليم الحر، ودوره في منطقة غرداية، والتعريف على بأهم رواده ومساهمتهم في الحركة التعليمية بالمنطقة.

الهدف من الدراسة:

أما الهدف من دراسة هذا الموضوع فيكمن في محاولة إبراز الدور الفعال الذي قام به رواد التعليم الحر في غرداية عموما وفي متليلي خصوصا، والمتمثل في الشيخ علي بن دية.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

اخترت الفترة الممتدة مابين(1310-1407هـ/ 1892-1987م)، وهي الفترة الخاصة بنموذج الدراسة، والمتمثلة في مولد ووفاة الشيخ علي بن دية رحمه الله، من خلال ذكر أهم مراكز ورواد التعليم الحر في هته الفترة بمنطقة غرداية، ودور الشيخ علي بن دية في هذا النوع من التعليم.

الإشكالية:

ماهي أهم مراكز التعليم الحر بمنطقة غرداية ومن هم أهم رواده؟.

ولمعالجة هته الإشكالية تم طرح مجموعة من التساؤلات وهي كالتالي:

- ماهي وضعية التعليم في العهد العثماني، وماهي تطوراته أثناء الاحتلال الفرنسي؟

- ماهي أهم مراكز التعليم الحر عند الإباضية؟ ومن هم أهم رواده؟

- ماهي أهم مراكز التعليم الحر عند المالكية؟ ومن هم أهم رواده؟

- من هو الشيخ علي بن دية؟وما هو دوره في التعليم الحر؟ وكيف كان منهجه التعليمي؟ وماهي الآثار التي خلفها بعد وفاته؟ ومن هم أهم تلامذته؟

المنهج المتبع:

ولقد اتبعت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي التركيبي المناسب لمثل هذه المواضيع، من وصف وعرض لأوضاع التعليم من حيث مراكزه ورواده.

الدراسات السابقة:

لا شك أن هناك دراسات وأبحاث علمية تناولت موضوع التعليم الحر في منطقة غرداية، فنجد أن هذا الموضوع درس في مذكرة ليسانس في علم النفس تحت عنوان **نظام التعليم الحر بوادي**

ميزاب لصالح فخار،إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على التعليم عند الإباضية فقط، ولقد درس هذا الموضوع بشكل ضمني في مذكرة ليسانس تاريخ بعنوان **الحركة الإصلاحية في منطقة غرداية 1882-1962م**، والتي عولج فيها هذا الموضوع من كلا الجهتين عند الاباضية، وعند المالكية، وهناك بعض المؤلفات والتي تطرقت إلى هذا الموضوع من بينها كتاب **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر**، الجزء الثاني لمحمد الحسن فضلاء، والذي تحدث فيه عن مراكز التعليم الحر عند الإباضية، ونجد دراسة لأحمد أولاد سعيد من خلال مقاله في مجلة الواحات بعنوان **علماء مسجد خالد بن الوليد ودورهم الريادي في العلم والوطنية**، والذي يتحدث عن أهم مراكز التعليم الحر ورواده عند المالكية.

ولمعالجة هذا الموضوع فقد قسمت الموضوع إلى أربعة فصول، بداية بمدخل والذي يتناول موضوع التعريف بمنطقة غرداية، ويتضمن هذا المدخل ثلاث مباحث، فالمبحث الأول بعنوان الدراسة الجغرافية والطبيعية، وذلك من حيث الموقع الفلكي والموقع الجغرافي، والخصائص الطبيعية للمنطقة، والمبحث الثاني بعنوان الدراسة العمرانية والبشرية، من خلال تأسيس المدن، والتركيبة السكانية، أما عن المبحث الثالث فيتحدث عن الأوضاع الاجتماعية، والأوضاع الثقافية والأوضاع الاقتصادية لمنطقة غرداية.

أما عن الفصل الأول فهو تحت عنوان التعليم في العهد العثماني وتطوراته أثناء الاحتلال الفرنسي، مقسما هو كذلك إلى ثلاث مباحث، بداية بالتعليم في العهد العثماني والذي تطرقت فيه إلى السياسة التعليمية العثمانية، وإلى أنواع ومناهج، ووسائل التعليم في هذا العهد، أما عن المبحث الثاني فهو يعالج موضوع التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال وسياسة فرنسا اتجاهه، متطرقا فيه إلى أوضاع التعليم الحر أثناء الاحتلال، وإلى سياسة فرنسا تجاه التعليم في المساجد، والزوايا، والمدارس

القرآنية، أما عن المبحث الأخير في هذا الفصل فقد خصصته للحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931- 1956م)، ودورها في التعليم العربي الحر، متطرقا فيه إلى التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من خلال تأسيسها، ومبادئها وأهدافها التعليمية، إضافة إلى وسائل الجمعية التعليمية من مساجد، ومدارس حرة، ونوادي.

أما الفصل الثاني فهو خاص بالتعليم الحر في منطقة غرداية (1892-1962م) مقسما إلى مبحثين، فالأول تحت عنوان التعليم الحر عند الإباضية، متطرقا فيه إلى أهم مراكز التعليم، وأهم رواده، والمبحث الثاني فهو يتحدث عن التعليم الحر عند المالكية مبرزا فيه أهم مراكز التعليم ورواده.

وأما عن الفصل الثالث والأخير فهو تحت عنوان الشيخ علي بن دية ودوره التعليمي(1892-1987م)، مقسما إلى ثلاث مباحث، بداية بمولده ونشأته وتعلمه، والمبحث الثاني تطرقت فيه إلى دور الشيخ علي التعليمي والاجتماعي، من خلال أهم المناطق التي درّس فيها، ومنهجه التعليمي الذي اتبعه، إضافة إلى منهجه الخاص ودوره الاجتماعي والإصلاحي، أما عن المبحث الثالث فهو بعنوان وفاته وآثاره، متناول فيه وفاته، وأهم آثاره وتلامذته.ولقد خرجت في الأخير بخاتمة لهذا الموضوع في شكل استنتاجات. ثم قائمة الملاحق، وقائمة المصادر والمراجع، والفهارس.

الصعوبات:

ومن بين الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا الموضوع:

- لقد صعبت الأحداث الأخيرة في ولاية غرداية الذهاب إلى بعض المكتبات المتواجدة هناك ومن الاستفادة منها.

- قلة المصادر والمراجع الخاصة بموضوع التعليم عند المالكية.

- ضيق الوقت والذي لم يسمح لي بالإحاطة بالموضوع ودراسة أوضاع التعليم الحر عند المالكية (مراكزه ورواده) بشكل مفصل في كل من مدينتي المنيعة، والقرارة بكونهما تابعتين لمنطقة غرداية.

- صعوبة الوصول إلى بعض المعلومات الخاصة بموضوع الشيخ علي بن دية، خاصة فيما يتعلق بتواريخ وتراجم بعض مشايخه، والتي تستدعي بحثا مطولا.

نقد المصادر والمراجع:

ولقد اعتمدت في دراستي على مجموعة من المصادر والمراجع من بينها:

- **تاريخ الجزائر الثقافي** للدكتور أبو القاسم سعد الله بجزأيه الأول والثالث، والذي أفادني فيما يخص التعليم في العهد العثماني وتطوراته أثناء الاحتلال الفرنسي، إضافة إلى عبد القار حلوش في كتابه **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**.

- عبد الحميد بن ولهة في كتابة **الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا**، والذي أفادني في التعريف بالمنطقة، والتعرف على أهم مراكز ورواد التعليم عند المالكية بغرداية، ومتليلي، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى كتاب **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية** للدكتور عبد الحليم بيشي.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد من خلال كتابه **تاريخ بني ميزاب** والذي أفادني في التعريف بالمنطقة من حيث التركيبة السكانية،والأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

- محمد الحسن فضلاء في كتابه **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، قطاع الجنوب**، والذي يتحدث عن مراكز التعليم الحر عند الإباضية، إضافة إلى بعض المجلات مثل مجلة البصائر من خلال مقالاتها الخاصة بالتعليم الحر، ومجلة الواحات.

ولقد اعتمدت كذلك على بعض المصادر والمراجع باللغة الأجنبية التي أفادتني على التعرف على أهم مراكز التعليم الحر في غرداية، إضافة إلى التعريف بالمنطقة مثل:

Salah ben drissou, Institut al Hayat,1925_1965.

Cauneille: les Chaanba- Leur Nomadism

إضافة إلى بعض المقابلات الشخصية، ومن أهمها:

مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، والتي استفدت منها بما يخص موضوع التعليم الحر عند المالكية، إضافة إلى المقابلات الخاصة بموضوع الشيخ علي بن دية، من أهمها مقابلة مع الطالب عبد الله بن دية، ومقابلة مع الطالب عبد الله بيشي رحمه الله، ومقابلة مع الطالب الشيخ بوصيحة، ومقابلة مع الطالب محمد بن دية،...، والتي اعتمدت عليها في دراستي لحياة الشيخ علي، وفي مسيرته التعليمية، وآثاره، والتعرف على أهم تلامذته.

وأخيرا أتمني أن أكون قد وفقت في معالجة بعض جوانب الموضوع، بما وسعه جهدي ونظري، وأرجوا من الله عز وجل التوفيق والسداد.

مدخل: التعريف بمنطقة غرداية

المبحث الأول: الدراسة الجغرافية والطبيعية

المبحث الثاني: الدراسة العمرانية والبشرية

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

المبحث الأول: الدراسة الجغرافية والطبيعية

أولا: الموقع الفلكي و الجغرافي

أ) الموقع الفلكي: تتمركز منطقة غرداية وضواحيها من حيث موقعها بين خطي طول 2 و30 شرقا، ودائرتي عرض 20و 32 شمالا [1].

ب) الموقع الجغرافي: تقع ولاية غرداية في شمال الصحراء الجزائرية، وبالضبط في وسط الشمال، يحدها من الشمال ولايتا الأغواط والجلفة، وجنوب ولاية تمنراست، ومن الشرق ولاية ورقلة،وغربا ولايتا البيض و أدرار[2].

ثانيا: الخصائص الطبيعية

أ) التضاريس: تتواجد المنطقة على هضبة كلسية حجرية تمتد إلى منخفضات ورقلة من الجهة الشرقية والعرق الغربي من الجنوب الغربي، حيث تحدها شمالا سهوب الأغواط ، وهضبة تادميت جنوبا، وتعرف المنطقة من خلال تضاريسها بما يعرف ببلاد الشبكة، والتي تطلق عليها الهضبة الكلسية، وسميت بالشبكة لتتخللها لأودية عديدة تتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ومساحة بلاد الشبكة 38000 كلم^2،يحدها شمالا واد بوزبير، ومن الناحية الغربية واد زرقون، وشرقا زلفانة والقرارة،ومن الجنوب أقصى مناطق متليلي**[3]**.

---

[1] صالح بن عمر أسماوي: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، المطبعة العربية، ط1، غرداية،الجزائر، 2005 م ص 591.

[2] محمد عبد الحليم بيشي: **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، دار زمورة للنشر والتوزيع، ط1 ، الجزائر، 2013م، ص 22.

[3] يوسف بن بكير الحاج سعيد: **تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، مطبوعات وزارة الثقافة، ب ط، الجزائر2007م، ص 9.

وتتميز المنطقة بوجود المرتفعات الصخرية: وهي سلسلة من الجبال الصخرية التي تفصل بين الشبكة والحماد المتصل بهضبة تادميت جنوبا، وبادية بريزينة والأبيض سيدي الشيخ غربا .

- الرق والحمادة: وهي عبارة عن أماكن مستوية تتخللها بعض المنخفضات البسيطة والغير عميقة وهي غالبا ما تشكل شعاب وأودية صغيرة من جهة الجنوب.

- الرمال: تكون حركة الرمال من العرق الشرقي ومن العرق الغربي الكبير الجنوبي [1].

ب) المناخ: أما عن المناخ في المنطقة فهو مناخ جاف نتيجة للرياح القادمة من الجنوب الغربي، خاصة في نهاية فصل الشتاء وبداية فصل الربيع، وهذا ما سنراه من خلال العناصر التالية:

1) الحرارة: ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف، فقد تتراوح ما بين 35°و45° وقد تصل إلى 50° كحد أقصى، بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى درجة واحدة تحت الصفر [2].

2) الأمطار: يتراوح المعدل السنوي للتساقط بمنطقة غرداية، والمناطق المجاورة لها ما بين 50 و 60 مم سنويا [3].

3) الرياح: ترتبط قوة وضعف الرياح من فصل لآخر، ففي فصل الشتاء تكون الرياح شمالية غربية وتكون باردة ورطبة، إذ يصل متوسط سرعتها إلى 22م/ ثا، أما في فصل الصيف فتكون جنوبية

---

[1] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 26.

[2] يوسف الحاج سعيد : المرجع السابق، ص 9.

[3] عبد الحميد بن ولهة: **الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا**،ج 1، دار صبحي للنشر والتوزيع، ط1، متليلي، 2013م، ص 19.

شرقية تتميز بالقوة وشدة الحرارة، وتعرف "بالشهيلي"، أما في فصل الربيع تكون هناك زوابع رملية يصل متوسط سرعتها إلى 26م/ ثا [1].

4) تأثير المناخ على الغطاء النباتي بالمنطقة: ينعدم الغطاء النباتي في المنطقة كلما اتجهنا جنوبا من الأغواط مثل نبات الحلفاء، لتحل مكانها نباتات أخري التي تمتاز باحتمالها الكبير لحرارة الشمس وقساوة المناخ،ومن هذه النباتات (الرقيم،والشيح،الدرين)، كما أن الأماكن المنخفضة وخاصة في فصل الربيع تكون كثيرة الأعشاب [2].

5) الأودية: تسمى هذه الأودية بالأودية الكاذبة وذلك لعدم استقرارها، وترتبط بكمية الأمطار المتساقطة في كثرتها أو قلتها، ومن بين أهم الأودية التي تتخلل بلاد الشبكة نذكر:

- وادي زقرير: والذي تترل مياهه من ناحية الضايات والذي يسقي واحات القرارة.

- وادي النسا: له رافدان هامان هما وادي بالوح ووادي السودان والذي أنشئت عند ملتقاهما مدينة بريان [3].

- وادي ميزاب: من أهم روافده وادي العديرة، ووادي الأبيض، ووادي التوزوز،والذي يسقي واحة غرداية وواحة مليكة، وتصب فيه من الغرب مياه وادي انتيسا الذي يسقي واحة بن يزقن ثم يتجه أخيرا إلى الناحية الشرقية من زلفانة وينتهي إلى نقوسة شمالي ورقلة [4].

---

[1] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

[3] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 2.

[4] أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، دار الكتاب الجزائري، ط3، الجزائر، 1964م، ص 55.

إن هذه الأودية الثلاث السالفة الذكر تنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال ورقلة، ويعتبر وادي زقرير أكثر هذه الأودية سيلان.

- وادي متليلي: ينطلق وادي متليلي من الضايات المرتفعة الشمالية الغربية للشبكة متجها نحو الجنوب الشرقي وينتهي في حدود مدينة ورقلة مرورا بمدينة متليلي، ويوجد به سدين لا يتجاوز علوهما 2م[1].

- وادي مسك: ويقع غرب الشبكة، وبالضبط في الجهة الغربية من مدينة متليلي، والذي تصب فيه بعض الأودية مثل وادي سبسب ووادي الجديد، وموازاتا لوادي مسك هناك أودية من أهمها وادي محيقن، ووادي المنصورة والطويل [2].

[1] Charles A mat: **Le Mzab et M'ZABITES**, Edition CHALLAMEL ET Cie EDITEURS,1888, P 55.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 27.

المبحث الثاني: الدراسة العمرانية والبشرية

أولا: تأسيس المدن :

لقد وصفت لنا الدراسات الأركيولوجية بأن المنطقة قد عرفت استقرار الإنسان القديم بها، وذلك بناء على وجود آثار قديمة، أما عن تعمير المنطقة فيرجع إلى بدايات القرن الرابع هجري، وأهم القرى والقصور التي توجد بالمنطقة فنوردها فيما يلي:

أ. العطف: وكانت أول المدن نشأة في ميزاب و أقدمها، حيث أسست في عام 402هـ/1012م، وسميت العطف لأنها تقع في جبل في منعطف الوادي لا يراها المرء من بعيد، ولكن تظهر له إذا انعطف مع الوادي[1].

ب.بونورة: بعد مدينة العطف أنشأت مدينة بونورة سنة 457هـ/1065م[2]، تقع في أعلى جبل منقطع عن السلسلة الجبلية التي تجاورها من الشرق، وأصل التسمية هي آت بونور نسبة إلى قبيلة بربرية [3].

ج. غرداية: بعد تأسيس العطف و بونورة تأسست مدينة غرداية سنة 447هـ/1053م، ولقد تعددت الروايات في أصل تسمية غرداية واختلاف معانيها فقيل أن غرداية أصلها تغردايت بالبربرية ومعنى الكلمة الأرض المستصلحة الواقعة على ضفة مجري الوادي[4].

ويقال أن عجوز كانت تأوي إلى غار في غرب الجبل الذي بنيت فيه المدينة تسمى "داية" فنسب إليها المكان، وسميت"غار داية" [5].

---

[1] محمد علي دبوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، مطبوعات وزارة الثقافة، 2007م، ص 161.

[2] محمد عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 29.

[3] بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 47.

[4] مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب**،ج2، دار الحكمة ، ط1، الجزائر، 2007م، ص 215.

[5] محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 163.

وهناك رواية أخرى تربط التسمية بالمرأة "داية"، إذ قيل أن امرأة اهتدت إلى مغارة في التل حيث تقع على طريق القوافل، فأشفق عليها أحد المارين فتزوج بها وبنى بيت فوق المغارة ومن هنا سمي بغار داية وأختصر الاسم مع الوقت فأصبح غرداية [1].

د. بني يزقن: أسست عام 720هـ/1321م، ويقال أن أصل التسمية يعود إلى آت اسجن وهي نسبة إلى قبيلة بربرية سكنت المدينة[2].

ه. مليكة: أسست عام 756هـ/1355م، ويقال أن اسمها الحقيقي هو "أتمليشت"، نسبة إلى مليكش أحد زعماء بني زناتة البربرية[3].

و. القرارة: أنشأت مدينة القرارة سنة 1040هـ/1631م، وأصل تسميتها كما يقال "تقرار" بالبربرية وهي جبال لها أشكال بيضوية بمحاذاتها سهول ، ويمر وادي زقرير من غربها ويتجمع في أراضي واسعة في الشرق والجنوب[4].

ز. بريان: أنشأت هذه المدينة سنة 1060هـ/1690م وهي على جبل منقطع تحيطه جبال منيعة من شرقه وغربه ومن جنوبه، وتمر به ثلاثة أودية والتي هي روافد واد النسا من الجهة الشرقية، والذي يعتبر من أكثر الأودية سيلانا في المنطقة،ولذلك سمي المكان (بريان) [5].

---

[1] إبراهيم محمد طلاي: **المدن السبع في وادي ميزاب**، جمعية الثرات لبني يزقن، ب ط، غرداية، ب ت، ص 11.

[2] بكير بن سعيد أعوشت: الرجع السابق، ص 47.

[3] المرجع نفسه، ص 47.

[4] محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 156.

[5] المرجع نفسه، ص 164.

ح. متليلي: يعود إنشاء مدينة متليلي إلى سنة 1156م، وهو تاريخ إنشاء المسجد العتيق،وتقع المدينة على هضبة من الصخور الكلسية، والتي تسمى .بمنطقة الشبكة نتيجة للأودية والشعاب التي تتخلل هذه الهضبة [1].

أما عن أصل تسمية المدينة فكلمة متليلي مكونة من كلمتين "مثل"و" ليلي"، وهي أن الوافدين من الشعانبة عند دخولهم إلى المنطقة وجدوا تشابها كبيرا بين هذا المكان والمكان الذي كانوا متواجدين فيه من قبل وهو "ليلي" فقالوا إن هذا الوادي مثل ليلي[2]، ومع الوقت أصبحت تسمى "متليلي" وهذه أرجح الروايات المتداولة، ويصفها ابن الدين الأغواطي في رحلته " ليس لمتليلي أسوار وليس فيها ماء باستثناء ما يستخرج بالطواحين، وجه الأرض هنا ليس منبسطا بل هو عبارة عن هضاب مغطاة بصخور حادة تقطع كالسكاكين وينموا فيها النخيل، وقلما يترل فيها المطر وهم يركبون الجمال ولغة السكان العربية"[3].

ط- ضاية بن ضحوة: تقع ضاية بن ضحوة في مجرى وادي ميزاب والتي ظهرت كواحة سنة 1868م، ويقصد بالضاية المكان الذي يتجمع فيه الماء،وأما عن" بن ضحوة" فهي نسبة إلى أحد رجال هذه المدينة[4].

---

[1] عبد الحميد بن وهلة: المرجع السابق ، 16.

[2] ALFRED MAURY: BULLETIN de la sociètè de géographie_ 4 eme Série 18ème Time, 1859 P136

[3] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 1990 ص 254

[4] بكير بن سعيد أعوشت: المرجع السابق، ص 49.

ظ- **المنيعة:** كانت في البداية تسمي "القليعة" وسبب تسميتها يرجع إلى أن سكان المنطقة انتقلوا إلى أعلى الجبل والذي بنو فوقه القلعة، وكان دلك في بداية القرن 11هـ/17م، وبمرور الزمن تغير اسم القليعة إلى "المنيعة"، في حين أن مدينة المنيعة معمورة منذ العهود البربرية الأولى، وقد عمرها فيما بعد قبائل الشعانبة المواضي [1].

ثانياً: التركيبة السكانية:

تنقسم منطقة غرداية من حيث التركيبة السكانية إلى عدة طوائف وقبائل نذكر:

أ) المزابيون: وهم من قبيلة بني مصعب[2]، البربرية فرع زناتة العظيمة كما يقول الشيخ عبد الرحمان باكلي، ولقد حرفت مصعب إلى ميزاب لأن من البربر لايستطيع أن ينطق بالعين وينطقها همزة أو ألفا، إضافة إلى التقارب في المخارج بين الصاد والزاي من جهة وتعدد اللهجات من جهة أخرى، مما أدى إلى استبدال الصاد زايا (بني مصعب إلى بني ميزاب) مثل الصلاة التي تنطق تْزَالِيتْ[3].

أما عن مذهبهم فقد تحول من مذهب المعتزلة إلى المذهب الإباضي ويرجع السبب في ذلك إلى الدعوة التي قام بها الداعية "أبو عبد الله محمد بن بكر" [4].

---

[1] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 30.

[2] وهو مصعب بن بادين، انتقل مع بنوه إلى الوادي مع بني إخوته عبد الواد وتُجِينْ وزَرْدَال، وهم من الطبقة الثانية من زناتة.
أنظر: يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

[4] هو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، كان أبوه وجده من علماء جبل نفوسة وتعلم علم على مشائخها، ثم انتقل إلى القيروان التي كانت مليئة بعلماء الإباضية، وبعدها انتقل إلى مناطق أريغ، وكان كثير التنقل ببادية بني مصعب ويدعوا الناس إلى المذهب الإباضي، وبنى مقامه بالعطف، توفي عام 440هـ ، أنظر: يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 34.

ب) الشعانبة: يعود أصول الشعانبة[1] إلى قبيلة بني سُليم[*] التي دخلت المغرب العربي في التغريبة الهلالية السُلمية سنة 1051م، ولقد استقرت القبائل السُلمية في ليبيا، أما بطون بني هلال الأخرى(رياح،الأبتح، زغبة) فاستقرت في غرب تونس وشرق الجزائر والمغرب الأقصى، وذلك في أواسط القرن الخامس هجري[2]،وقد كان وفود الشعانبة من جنوب تونس نتيجة للاحتلال النورماني للسواحل الغربية لليبيا وجنوب تونس، واستقروا في نواحي الحضنة وبلاد الزاب، وبعد سقوط دولة الموحدين سنة 1153م انتقلوا إلى بلاد الشبكة (متليلي) في حوالي سنة 1156م [3].

ولقد هاجرت بطون من الشعانبة الذين كانوا بمتليلي مثل بطن "المواضي" إلى المنيعة، وبطن "بوربة "إلى ورقلة، بينما اتجهت بطون أخرى إلى المناطق الشمالية الغربية للصحراء، وأخرى إلى الوادي، وذلك نتيجة للاكتظاظ وازدحام المراعي[4].

أما عن متليلي فينقسم الشعانبة فيها إلى بطنين كبيرين وهما أولاد علوش، وينقسم إلى ثمانية قبائل، وفريق أولاد عبد القادر، والذي يضم خمسة قبائل [5].

---

[1] يعود أصل تسمية الشعانبة إلى أن هذه القبيلة العربية والتي تتصف بالكرم والسخاء، فقد كانوا يوقدون نارا كبيرة في كل ليلة لتكون بمثابة دليل لعابر السبيل، فيكرمون الضيف، فأصبح كل مارٍ وسائل عند رأيته لتلك النار يُسر ويردد "شعاع نبأ" ومع مرور الوقت تحولت اللفظة إلى الشعانبة، أنظر: عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص 30.

[*] تنسب قبيلة سُليم إلى جدها الأول سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي أكبر قبائل قيس عيلان. أنظر: عبد الحميد خالدي، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دارهومة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م، ص ص 59- 60.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 35.

[3] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 27.

[4] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 36.

[5] Cuneille: **LES CHAANBA- LEUR NOMADISME**- paris. VII, 1968,p p 22- 23

ج) القبائل الأخرى:

1- قبائل سعيد: تنحدر أصولهم إلى القبائل الهلالية، واستوطنوا في جهات ورقلة في القرن 7هـ/13م، حيث كانوا يتوافدون إلى وادي ميزاب في فصل الربيع، وفي فصل الصيف يقيمون في نواحي سرسو[1].

2- بنو مرزوق: كان قدومهم من منطقة الجريد التونسي، وقيل أنهم جاؤوا من "نفزاوة" وكانوا حوالي ثلاثين عائلة، وذلك سنة 933هـ /1527م، وكان لهم في غرداية مسجد خاص بهم وهو أول مسجد مالكي بغرداية (المسجد العتيق)، وبعدها استقروا بمدينة متليلي[2].

3- المذابيح: وهم من قبيلة من قبائل بني هلال، قدموا عن طريق السودان ثم ليبيا فالجريد واستقروا في المايا جنوب جبال عمور، وقد توافدوا إلى غرداية في حوالي995هـ / 1586م[3].

د) اليهود:

لقد كان توافد اليهود إلى المنطقة متأخرا، إذ يعود إلى القرن السادس عشر ميلادي بعد الحملة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[*] عليهم في منطقة توات، ولقد استوطنوا في الوادي فكانوا

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مؤسسة الوطنية للكتاب، ط خ، الجزائر 1985م، ص 227.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق ص 38.

[3] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق ص 60.

[*] هو محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909هـ)، نشأ وترعرع بتلمسان ودرس بها مبادئ العقيدة والفقه وعلوم القرآن، ثم ارتحل إلى بجاية طلبا للعلم ومنها إلى الجزائر العاصمة، حيث التقى بالشيخ عبد الرحمان الثعالبي ثم عاد إلى تلمسان ومنها خرج قاصدا منطقة توات ومن توات دهب إلى مملكة صنغاي ممارسا للدعوة والإصلاح ثم عاد إلى توات ثانية، فوجد اليهود قد بسطوا سلطانهم وقويت شوكتهم فأجلاهم من المنطقة ثم عاد إلى تكرور، وقد خلف المغيلي عدة مؤلفات من بينها: مصباح الأرواح في أصول الفلاح...، أنظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح حول يهود توات**، تق، رابح بونار، ش،و، ن، ت، ب ط، الجزائر، 1963 م، ص 60. و أنظر: عبد الله كروم، **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دار دحلب للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر، 2007م، ص ص 5 - 54 .

يسكنون حيا خاص بهم جنوب غرب السور أشتهر بقذارته الإستثنائية كما كانت لهم مقبرة خاصة بهم، ولما أعلنت فرنسا تجنيس سائر اليهود في أرض الجزائر لم يشمل هذا القرار يهود ميزاب، واليهود المتواجدين في جنوب الجزائر[1].

[1] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر، 2009م، ص 282.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

أولا: الأوضاع الاجتماعية:

تختلف الحياة الاجتماعية في منطقة غرداية من حيث النظام الذي تتبعه العشيرة أو القبيلة في تنظيم المجتمع، فنجد أن تنظيم المجتمع عند المزابيين أو الإباضية تعتمد على حلقة أو مجلس "العزابة" الذي وضع أسسه أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي، أحد علماء الإباضية سنة409هـ/1018م، ولقد كان هذا النظام ذا غاية تعليمية توجيهية ولكنه تطور مع مرور الزمن والظروف إلى رعاية الفرد الإباضي من النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية و السياسية[1].

أما عن الهيئات الاجتماعية المساعدة لمجلس العزابة نجد:

- العشيرة: إذ أن المدن الميزابية تتكون من عشائر، ولكل عشيرة مجلس يتكون من مجموعة من الأعيان، فالعشيرة تمثل وحدة اجتماعية مهمتها تحقيق التكافل بين أفرادها [2].

- مجلس عمي سعيد: وهو مجلس يرأس جميع مجالس العزابة والذي يوحد بينها، ويتركب المجلس من كبار العلماء والعزابة، وتتمثل مهمته في فظ المشاكل والنزاعات والوعظ والفتاوى [3].

أما بالنسبة إلى القبائل البدوية الأخرى فيمكن إجمال سلوكياتها كما يرى ابن خلدون في حفظ العهد والجود والشجاعة ، وهذه السلوكيات والتنظيمات خاضعة للعرف المتوارث [4].

---

[1] عبد العزيز شهبي: **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ب ط، وهران، 2007م، ص 169.

[2] مفدي زكرياء: **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تح، إبراهيم بحاز، مطبعة الفنون الجميلة، ب ط، الجزائر، 2010م ،ص 200.

[3] عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص ص 192- 194.

[4] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق ص40.

ويتكون التنظيم الاجتماعي عند الشعانبة من عشائر وفرق عائلية كبيرةـــ، ويترأس هذه الفرق ضامن "كوراط"، وقائد للعرش والذي يتم اختيارهما من طرف الأعيان [1].

والزعامة عند الشعانبة غالبا وراثية وتشترط موافقة جماعة الكبار [2] ، فشيخ القبيلة يدير أمور السلم والحرب والسهر على تطبيق تنظيم مختلف شؤون الحياة اليومية والمناسبات وفقا للأعراف، وفي حالة حدوث أمرا طارئ في الجانب العسكري، فإن جماعة العشيرة يختارون قائدا عسكريا وفقا لشروط معينة،لأن نظام القبيلة لا يسمح بالجمع بين المسؤوليات السياسية والمسؤولية العسكرية [3].

ويتميز المجتمع الشعانبي بالكرم الذي بقي يتصف به إلى حد الآن، حيث يقول فيه الملازم دارمانياك أن أي عابر سبيل لابد أن يستريح ويتناول العشاء .... ويضيف قائلا " إن حسن الضيافة كبيرا هنا في الصحراء" [4].

ولقد كان لدخول الفرنسيين إلى المنطقة [5]، أثر كبير على الحياة الاجتماعية من حيث الأساليب التي اتبعها وذلك من خلال تحطيم البنى القبلية، وإشعال نار الفتنة بين السكان المحليين [6].

---

[1] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق ص 37.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق ص 40.

[3] إسماعيل العربي: المرجع السابق ص 165.

[4] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق ص 30.

[5] وذلك بتوقيع معاهدة بين أهل ميزاب وفرنسا في 1853/04/29م،والتي بموجبها دفع ضريبة للفرنسيين قدرها 4500 فرنك فرنسي مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمزابيين وحرية التجارة، وبقيت هذه المعاهدة حتى سنة 1882م وهو تاريخ قرار إلحاق ميزاب بفرنسا، ليتم بعدها إلحاق متليلي والمنيعة وذلك سنة 1897م، أنظر: عميراوي احميدة وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء.الجزائرية 1844 - 1916 م**، دار الهدي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009م، ص46.وانظر: عبد الحليم بيشي، المرجع السابق ص 63.

[6] المرجع نفسه ص 59.

ثانيا: الأوضاع الثقافية:

تميزت الحياة الثقافية قبل الدخول الفرنسي للمنطقة وخاصة في الحواضر نشاطا كبيرا من خلال المدارس والجوامع، ونجد أن في كلا المذهبين (المالكي و الإباضي)، كانت العلوم الدينية الجزء الأكبر في الدراسة، ولقد شهدت هذه الفترة بروز نهضة فكرية وثقافية خاصة عند الإباضية نتيجة لرجوع بعض العلماء المزابيين الدين كانوا بعيدا في تحصيل العلم ومن بين هؤلاء العلماء نذكر ضياء الدين عبد العزيز التميني [1].

أما المالكية فكانوا في تواصل مع حواضر العلم في توات وغيرها من المناطق، وقد كانت هذه الحواضر مقصورة على دراسة مؤلفات أبي يزيد ومختصر خليل وابن عاشر، والعقيدة الأشعرية، ونجد ذلك في الحواضر المالكية بغرداية متليلي والمنيعة [2].

وأما عن الحياة الثقافية لدى البدو الرحل فقد كانوا يقومون باصطحاب مدرسا للقرآن معهم لتعليم أبنائهم مبادئ اللغة وتحفيظ القرآن الكريم، ولقد اهتم الشعانبة بالشعر الملحون ومن بين أهم الشعراء اللذين تغنوا بأمجاد قبائلهم وبخصالهم من الكرم والشجاعة الشاعر محمد بلخضر [3].

---

[1] هو ضياء الدين عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني ولد في بني يزقن سنة 1718م، ختم القرآن الكريم في صباه، وكان ينتقل إلى ورجلان ويقيم فيها سنينا،ونبغ في العلوم العربية وفي علم الكلام وغيرها من العلوم، وبعدها اشتغل بالتدريس والتأليف وإحداث حركة فكرية كان لها أثر جليل، توفي سنة 1808م تاركا العديد من المؤلفات من بينها كتاب "النيل وشفاء العليل". أنظر: يوسف الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 82.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 48.

[3] هو محمد بن لخضر بيتور الذي أشتهر بقصائده المتغنية بالشجاعة، وقد حمل شعره البدور الأولى للوطنية، هذا ماجعل السلطات الفرنسية تقوم بعملية الحجر عليه عدة مرات، توفي سنة 1921م، أنظر: عبد الحميد بن ولهة المرجع السابق، ص39. و أنظر: عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 48.

ثالثا: الأوضاع الاقتصادية

ترتبط الحياة الاقتصادية في منطقة غرداية بالوضع الاجتماعي، ومن حيث تمركز السكان، وتتركب الحياة الاقتصادية من:

أ) الفلاحة والري: ترتبط الفلاحة والري بالواحات (ميزاب،متليلي،بريان، القرارة، المنيعة)، إذ نجد النخلة بتعدد أصنافها وتنوع ثمارها، هي محور الاقتصاد في المنطقة، إضافة إلى بعض الخضر والفواكه والتي تحتاج إلى الماء الأمر الذي جعل أهالي المنطقة يعملون على حفر الآبار، ويتم نزح الماء منها بواسطة الحيوانات مثل الجمل والحمار والبغل، وغالبا ما نجد شركاء في البئر الواحد والتي يتم استغلال مياهها بالتقسيط في الليل والنهار[1].

وللاستفادة من مياه الأمطار أقيمت على وادي ميزاب وروافده سدودا مثل سد العطف الذي يقع على بعد ثلاثة كيلومترات من المدينة وهو أول سد بميزاب، ومع مرور الوقت أقيمت سدود أخرى مثل سد الكبير الذي أقيم على وادي أنتيسا، ولقد بنى بنو ميزاب قنوات موازية للأودية من أهمها ساقية بوشمجان التي تنطلق من وادي ميزاب والتي تتفرع منها ثلاث سواقي فرعية، وهناك تنظيمات خاصة بالسدود والسواقي تنظم من طرف أمناء السيل ومجلس وادي ميزاب[2].

(1) يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 39.

(2) المرجع نفسه: ص 41.

وبعد دخول الاحتلال الفرنسي وبعد زيارة الوالي العام"تيرمان" في فيفري 1884م للمنطقة كانت هناك عملية حفر لآبار ارتوازية بطلب من بني ميزاب، وفي سنة 1897م أنشأت بئر بالطرق الحديثة في منطقة ختالة، وفي سنة 1949م أنشأت آبار ارتوازية بزلفانة[1].

أما عن الثروة الحيوانية من تربية الأغنام والإبل فنجد أن نشاطها كبير لدى البدو والتي يمتلكها سادة القبائل والأعيان، وهذه الثروة الحيوانية تمثل مصدرا غذائيا من حيث اللحم والألبان ونفعيا من حيث الصوف والوبر [2].

ب) التجارة:

بعد خراب كل من مدينة سدراتة سنة 1274م ومدينة تمنطيط سنة 1492م، أصبح وادي ميزاب محطة هامة للقوافل التجارية باعتبارها همزة وصل بين الشمال والجنوب، فالقوافل المارة على غرداية باتجاه الشمال تكون محملة بالتمر والملح والذهب والجلود، والقوافل المتجهة إلى الجنوب تكون محملة بالحبوب والزيت والسكر ومنتجات التل وأوربا[3].

ونتيجة لتزايد السكان ومحدودية الفلاحة فكر بني ميزاب في إقامة تجارة لهم في مناطق الشمال(الجزائر، قسنطينة، سطيف، البليدة، تيارت)، فقد كان بني ميزاب يشكلون جماعة في هذه المدن وخاصة في العاصمة ولهم أمين عام الذي كان محل ثقة الحكام[4].

---

[1] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 129.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص30.

[3] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 46.

[4] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 45.

ولقد قام بني ميزاب بتكوين مؤسسات تجارية ففي سنة 1932م تم تأسيس نقابة دفاعية بعمالة قسنطينة، وفي سنة 1936م تكونت شركة شرق الجزائر للمنسوجات، وفي نفس السنة دعم المزابيون المؤسستين السابقتين بمؤسسة ثالثة وهي جمعية التعاون العام برئاسة إبراهيم بن الحاج حجوط، وكان لهذه المؤسسات دور كبير في إحباط مؤامرات اليهود في التفليس والتفقير[1].

أما عن التجارة نحو السودان الغربي ونحو غدامس شرقا ومناطق توات فقد كانت تحت سيطرة الشعانبة لمعرفتهم الكبيرة للصحراء ولامتلاكهم للإبل[2].

ج) الصناعة: إن من أهم الصناعات السائدة في منطقة غرداية وبوادي ميزاب خصوصا صناعة مواد البناء(الجير،الجبس)، والتي كانت تحرق وتجهز في أفران خاصة بها مستديرة الشكل، إضافة إلى صناعة بكرات الترح المخصصة للبئر وأدوات النسيج وأواني المطبخ، ونجد أيضا صناعة الفخار من الأكواب والأباريق والقلل،بحيث تصنع من طين خاص[3].

ومن أشهر الحرف صناعة الذهب والفضة (خواتم والأقراط والبزيم لتزيين الشعر والخلخال) والتي كانت من اختصاص اليهود المتواجدين المنطقة، كما كان للمرأة في منطقة غرداية دور كبير في الصناعة التقليدية والمتمثلة في صناعة الزرابي التي كانت تُشغل ستة آلاف عاملة سنة 1893م **[4].**

وخلاصة القول من خلال هذا المدخل نقول بأن منطقة غرداية تقع في شمال الصحراء الجزائرية، وهي تتميز بمجموعة من التضاريس، إضافة إلى كثرة الأودية.

---

[1] يوسف الحاج سعيد:المرجع السابق، ص160.

[2] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص 45.

[3] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص 42.

[4] المرجع نفسه: ص 44.

فلقد شهدت منطقة غرداية تأسيس العديد من المدن، والتي كونت مجتمعة ولاية غرداية فيما بعد، والتي تتركب من مجموعة من القبائل والطوائف.

وتختلف الحياة الاجتماعية، والحياة الثقافية والاقتصادية من حيث العادات والتقاليد ومن حيث النظام المتبع لهذه القبائل.

الفصل الأول

التعليم في العهد العثماني وتطوراته

أثناء الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: التعليم في العهد العثماني

المبحث الثاني: التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال وسياسة فرنسا اتجاهه

المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتعليم العربي الحر(1931-1956م)

المبحث الأول: التعليم في العهد العثماني

أولا: السياسة التعليمية العثمانية

لم يكن للدولة أي دخل في ميدان التعليم، فلم يكن لديها أي وزير أو وكيل مكلف به كما هو الآن، إذ كانت مهمة الدولة منحصرة في المحافظة على استقرار السياسي وجمع الضرائب للخزينة،هذه المداخيل التي لم تستعمل في نشر التعليم وتطويره،فقد كانت سياسة الدولة عدم التدخل في شؤون التعليم، باستثناء بعض محاولات بعض البايات مثل محمد الكبير وصالح باي والتي لم تثمر نتيجة لقصر أمدها وبكونها لم تقم على خطة مدروسة والتي كانت ربما تهدف إلى جلب الشهرة والمدح[1]،وإذا كانت الدولة لم تهتم بالتعليم فهي لم تعمل علي عرقلة التعليم العربي الإسلامي والذي انتشر انتشارا واسعا خاصة في الفترة التي كانت قبيل الاحتلال الفرنسي[2].

فقد كان التعليم حرا وخاصا يعتمد ويقوم على الجهود الفردية والعائلية والمؤسسات الخيرية، فإن معظم المؤسسات الثقافية في الجزائر (المساجد والمدارس القرآنية والزوايا) كانت تقوم على التعليم وتشرف بنفسها على التلاميذ ووضع البرامج، ومن بين أهم مصادر تمويل هذه المؤسسات نجد الأوقاف[3]. وتكمن أهمية الوقف من حيث أنه مصدر للحياة والنمو للمساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة للعلماء

---

(1) أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998م، ص 313.

(2) عبد القادر حلوش:**سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010،ص 25.

(3) الوقف مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية، وهو شرعة اتبعها المسلمون منذ أوائل الإسلام، ولكن بتطور الزمن تكاثرت وتعددت أوجهه وأغراضه، ولقد تطور خاصة في العهد العثماني، وهو يقوم على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة، وله عدة أنواع فهناك من يوقف عقارا وهناك من يوقف أرضا أو حقلا...،أنظر:أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ص ص227- 230.

والطلبة، فهناك وثائق وقف تنص على تخصيص مبالغ للمعلمين، كما تنص كذلك على توفير السكن لعدد من الطلبة الدارسين والطلبة العلماء[1].

وإضافة للأوقاف نجد الصدقات والعطايا التي كانت تقدم من طرف الأفراد والعائلات والمحسنين والتي لعبت هي الأخرى دورا بارزا في انتشار المدارس ودورها التعليمي[2].

ثانيا: أنواع ومناهج التعليم في العهد العثماني

كان التعليم في العهد العثماني يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقلما نجد دراسات علمية، وكان يشمل ثلاث مراتب وهي (التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والعالي)[*].

أ) أنواعه:

1) **التعليم الابتدائي:** كان التعليم في هذه المرحلة يتم في المدارس القرآنية والكتاتيب، حيث كان إقبال الناس عليها كبيرا لتدريس أبناءهم، فلا تكاد تجد حارة من حارات المدن والقرى إلا وبها "الكُتاب والطالب"، هذا ما جعل الذين زاروا الجزائر في العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس الموجودة وانتشار التعليم الأمر الذي أدى إلى ندرة الأمية بين السكان[3].

ويعتبر الكُتاب أقل وحدة تعليمية للتعليم الابتدائي أو المكتب كما يسمى أحيانا، والمسيد كما يطلق عليه في العاصمة والكُتاب عبارة عن غرفة أو مجموعة من الغرف أو أجنحة تابعة للمسجد أو

---

[1] أبو القاسم سعد الله المرجع السابق: ص 231.

[2] عبد القادر حلوش: المرجع السابق ص 27.

[*] لم تكن هذه التقسيمات في مراحل التعليم متميزة حسب المفهوم الحديث، وإنما كانت متداخلة ببعضها البعض، أنظر: عبد القادر حلوش: المرجع السابق ص 30.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 274.

الزوايا، وكثير منها يحمل اسم الحي الواقع فيه فمثلا هناك مكتب سوق القندقجية ومسيد القيصرية، ومنها ما يحمل اسم الزاوية مثل كتاب زاوية الجامع الكبير ومكتب الملحق بزاوية سيدي محمد الشريف والمكتب التابع لزاوية أيوب ، وأحيانا كان يحمل اسم الواقف مثل مكتب العمالي ومسيد الحاج مصطفى بولكباش[1].

وتكمن وظيفة هذه المدارس الابتدائية كما يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله " في تثقيف وتربية الأطفال على القواعد الإسلامية، فهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي يعتبر أساس الثقافة الإسلامية، وتعلم مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، فهي تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها، فالمدرسة الابتدائية تعد شعبا متعلما محصنا لايوجد فيه إلا عدد قليل من الأُميين"[2].

2) التعليم الثانوي والعالي:

كان هذا التعليم منتشرا في الكثير من المساجد والزوايا، وكانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس إضافة إلى كونها مساكن للطلبة الدارسين بها، وهناك بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد[3]

ونذكر من بين المساجد الكبرى وبعض الزوايا التي شملت الدراسات العليا ففي مدينة الجزائر مثلا نجد الجامع الأعظم وجامع القشاش الذي تتبعه زاوية بنفس الاسم والتي تعتبر بمثابة مدرسة عليا، وزاوية القليعة وزاوية مليانة وزاوية محي الدين وزاوية بني سليمان، وفي الشرق نجد مثلا جامع سيدي

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 278.

[2] المرجع نفسه: ص 279.

[3] عبد القادر حلوش: المرجع السابق ص30.

الأخضر بقسنطينة وزاوية ابن علي الشريف في جبال جرجرة، وفي الغرب مثل الجامع الكبير وزاوية عين الحوت بتلمسان[1].

ب) مناهج التعليم العربي الحر:

1) في التعليم الابتدائي:

كانت قواعد التعليم ومناهج التدريس في التعليم الابتدائي بالجزائر في العهد العثماني بسيطة فالمؤدب (المدرس أو الطالب) يجلس متربعا على حصير متكئا على الجدار، وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ[2]، وكان التلاميذ يلتفون حول المؤدب في نصف دائرة وبيد كل واحد منهم لوحة كبيرة أو صغيرة وذاك حسب إمكانية التلميذ يمكن الكتابة عليها والمحو بكل سهولة، وإذ حفظ التلميذ درس الأمس واستظهره على المؤدب أجاز له بالمحو، وعندما يحين وقت الإملاء يملي المؤدب بصوت عال على من يسأله من التلاميذ، وبعد دلك يبدأ التلاميذ بالحفظ ويشترك جميع التلاميذ في ذلك إلى أن تختلط الأصوات، أما عن مادة الكتابة فهي الصمغ الأسود، وأما الأقلام فهي من القصب[3].

ويقول الدكتور أبو القاسم سعد الله عن الطريقة البيداغوجية المتبعة" تعتبر هذه الطريقة البيداغوجية التي كانت متبعة في هذا المستوي من التعليم جيدة،فالعصا كانت تستعمل أساسا لإبقاء النظام وجلب الانتباه وليست للعقوبة، وكانت العلاقة جيدة بين التلميذ والمؤدب القائمة على احترام

---

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص253،296.

[2] وليام شالر:**مذكرات شالر (قنصل فرنسا في الجزائر،1816ـــ1828م)**، تر،تق، إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ب ط، الجزائر 1982م، ص 82.

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 340.

الصغير للكبير واحترام حفظة القرآن الكريم"[1]. أما عن دوام المدرسة يتم يوميا في الصباح والمساء، وكان التعليم يعتمد على ملكة الحفظ فالتلميذ الذكي الذي يحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة، وعند ختم أحد التلاميذ تقام الاحتفالات وتتهاطل الهدايا على المؤدب الذي بفضله نجح التلميذ[2].

2) في التعليم الثانوي والعالي:

أما عن مناهج التعليم الثانوي والعالي فهي خاضعة للمدرس، فالمدرس حر في وضع البرنامج الدراسي وفي تحديد أوقات التدريس،فبعض المدرسين كان يعد دروسه في الصيف ليلقيها في الشتاء وكانت معظم الدروس تلقي في الصباح وبعد الظهر وبعد العصر، وكانت ميزة الدروس في التعليم الثانوي والعالي هي الشرح والإملاء، وأما عن مميزات المدرس الكفء هي الحفظ والرواية، وأن يكون حافظا لبعض الكتب كاملة كشرح خليل والرسالة[3].

ويمكن تقسيم هذه الدروس إلى نوعين:

1- علوم نقلية: والتي تشمل التفسير والحديث والفقه وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف.

2- علوم عقلية: والتي تشمل القواعد والبلاغة والمنطق وعلم التوحيد والفلسفة والحساب وعلم الفلك وعلم التاريخ[4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص341.

[2] المرجع نفسه، ص342.

[3] المرجع نفسه، ص ص346 -347.

[4] عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 33.

ثالثا: وسائل التعليم

أ) المعلمين والمدرسين:

يعتبر المعلم عمدة التعليم فهو بمثابة المثل الأعلى للتلميذ، وينقسم المعلمون إلى معلمي المدن ومعلمي الأرياف، فيعتبر المعلم مؤدب للصبيان وهذا في التعليم الابتدائي، ويعتبر معلم أو مدرسا يعلم الفتيان إلى سن العشرين، وهو أستاذ أو شيخ يدرس ما فوق هذه الأعمار،و كان أولياء التلاميذ هم الذين يختارون مؤدب أطفالهم ولهم الحق في إعفائه من وظيفته، ومن هنا فإن المؤدب يخضع لرقابة أولياء التلاميذ[1].

ويتمتع معلمي ومدرسي الأرياف بالحرية أكثر من زملائهم في المدن لأنهم لم يكونوا يخضعون لتسمية رسمية (من الباشا أو الخليفة)، ومن ثمة فإن دخلهم و رزقهم غير مرتبط بالأوقاف، فأجورهم كانت تقدم لهم في شكل هدايا وصدقات من الأولياء والمحسنين في المناسبات والأعياد، وقد يشترك في بعض الأحيان في هذه الحرية بعض مدرسي ومعلمي الزوايا في المدن،وكان بعض رجال الدين يجمعون التدريس إلى وظائفهم الرسمية، وفي هذه الحالة يصبحون هم كبار الأساتذة لأنهم ذوي خبرة في المسائل العلمية لذلك يصبح تعليمهم نوعا من التعليم العالي، وكانت شهرة المدرس وتخصصه وفصاحة لسانه هي التي تحدد مكانتهن وكان هذا المستوي من المعلمين في الجوامع الكبيرة في المدن، والزوايا في الأرياف، التي غالبا ما يكون أساتذتها من المرابطين ومن أشهر كبار المدرسين خلال

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص 322.

القرن17م محمد بن سعيد قديورة، علي بن خليل، الغربي الفاسي، محمد بن صولة، وفي القرن18م نجد عبد القادر الراشدي، أحمد العباسي، ...[1].

ب) التلاميذ:

يتراوح عدد التلاميذ المترددين على الكتاتيب بين السنة السادسة والرابعة عشرة وعددهم في كل كتاب يتراوح بين العشرين والثلاثين تلميذ، ويتوقف عدد التلاميذ حسب كثافة وكثرة سكان الحي وشهرة المؤدب، وقد يختم التلميذ القرآن الكريم عدة مرات، إضافة إلى تعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين، وقد يصبح التلميذ مساعد للمؤدب في تعليم بعض الأطفال الأصغر منه سنا، وحسب الإحصائيات فقد كانت حوالي 50 مدرسة في تلمسان تحتوي على 2000 تلميذ، وفي قسنطينة فكان عدد تلاميذ مدرستها حوالي 1350تلميذ، ونفس العدد تقريبا في الجزائر العاصمة[2].

أما التعليم الثانوي والعالي فإن الطالب لا يدفع شيئا، فهو يحصل على السكن والأكل، وتختلف أعداد الطلبة في المدارس الثانوية من فترة لأخرى وعدم استقرارها لارتباطها بالأوقاف[3].

ج) المكتبات والكتب:

كانت الجزائر في العهد العثماني تحتوي على العديد من الكتب والمكتبات، ومن أشهر المدن التي كانت تهتم بجمع الكتب وتصنيفها نجد تلمسان، قسنطينة، بجاية، مازونة، وتنقسم المكتبات إلى مكتبات عامة والتي كانت ملحقة بالمدارس والمساجد والزوايا، ومكتبات خاصة يمتلكها الأفراد

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، صص323 -ـــ325.

(2) عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 32.

(3) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص344.

والعائلات والتي نجدها تحتوي على مخطوطات نادرة مثل مكتبة شيخ الإسلام بقسنطينة(عائلة الفكون)[1].

أما عن مصادر الكتب فكانت الكتب تصل من مصر والحجاز إضافة إلى الأندلس وكانت أغلب محتوياتها لاتخرج عن العلوم الدينية، وقد شملت كذلك على الكتب العقلية واللغوية، إلا أن الكتب العلمية كانت قليلة مثل كتب الحساب وكتب الطب والفلك، وذاك لأن العلوم التي كانت سائدة في ذلك الوقت هي العلوم الدينية[2].

(1) أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق، ص 286.

(2) عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص36.

المبحث الثاني: التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال وسياسة فرنسا اتجاهه

أولا: أوضاع التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال

لقد كان لدخول الفرنسيين إلى الجزائر سنة 1830م اثر كبير علي الحياة الثقافية والتعليمية،فكان أول عمل قام به الفرنسيون فور دخولهم هو احتلال وهدم المساجد ومصادرة أوقافها، وتحويلها إلى كنائس وثكنات[1].

فقد تناقص دور التعليم عن آداء مهامه لظروف الحرب من جهة[2]، والاستيلاء على الأوقاف من جهة أخرى، غير أن المناطق الصحراوية التي كانت بعيدة عن الاحتلال في السنوات العشرين الأولى فقد استمرت في نشر رسالتها التعليمية[3].

وإما عن المدرسين والعلماء فقد تدهور حالهم وافتقروا ونضب المصدر الذي كانوا يتلقون أجورهم والهدايا التي تعودوا على تسلمها من الفرد والأولياء فأصبحوا مضطرين إلى البحث على مصدر رزق، فهذه الظروف الاقتصادية والسياسية والعسكرية أثرت وأدت إلى انخفاض مستوى التعليم ونقص مدته والمواظبة عليه[4].

---

(1) بشير بلاح:**تاريخ الجزائر المعاصر (1830ـــ1885)**، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2006م، ص 15.

(2) فمن الناحية الغربية مثلا أصيبت حركة التعليم بالشلل نتيجة للحروب القاسية أثناء مقاومة الأمير عبد القادر، فقد توقفت مدرسة مازونة لمدة طويلة وتعرضت المكتبات والمساجد والزوايا إلى النهب والهدم، ورغم اهتمام الأمير بالتعليم في الخيام والمدن إلا أن حركة التعليم قد تأثرت بشدة، وكذلك هو الحال بالنسبة إلى زاوية القيطنة التي توقفت عن آداء مهمتها أثناء المقاومة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1956م)**، ج3، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت، 1998م، ص 31.

(3) عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 45.

(4) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص 28.

وعن حالة التعليم غداة الاحتلال يضيف الدكتور أبو القاسم سعد الله فيقول" لقد أهمل التعليم في المدن والأرياف على السواء لأسباب مختلفة منها اغتصاب موارده، وكثرة الحروب، ومشاركة الطلبة في الجهاد، وبعد ضعف التعليم في المدن بقي التعليم في الزوايا والمعمرات، فخرج إليها التلاميذ طلبا للعلم والمقاومة الثقافية، وبعد نجاح الاستعمار في التوغل إلى الريف ومراقبة المعلمين والتلاميذ ضعف التعليم هناك أيضا وحوصر إداريا بالقوانين ولغويا بالفرنسية"[1].

ثانيا: سياسة فرنسا اتجاه التعليم في المساجد والزوايا

أ) المساجد:

لقد كان لهدم المساجد وتحويلها إلى كنائس ومصادرة أوقافها[2]، كما ذكرنا أثر كبير ودلك على الدروس التي كانت تلقى في المسجد، فقد توقفت دروس مساجد حسين باشا، وعبدي باشا وجامع السيدة، والجامع الكبير، والكثير من المساجد الأخرى، و لم يسمح الفرنسيون باستئناف الدروس إلا خلال الأربعينات من القرن 19م، بحيث جرت تعيينات لبعض المدرسين[3].

وفي سنة 1851م كان هناك تنظيمات شاملة، فقد رتبت المساجد إلى خمس درجات، و لم يختص بالتدريس إلا مساجد الدرجة الأولى والمتواجدة في المدن الكبيرة، فلم يعد تدريس اللغة والنحو والأدب والتاريخ جائزا للمدرس، أنما كان الفرنسيون هم اللذين يختارون له الموضوعات في الفقه

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج 3، ص 31.

(2) صدر في 1843/03/23م أمر ملك ، والقاضي بالاستيلاء على الأوقاف وضمها إلى أملاك الدولة. أنظر عبد القادر حلوش المرجع السابق، ص 43.

(3) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص 60.

والتوحيد، فمدرسو المساجد في العهد الفرنسي لا يعلمون الأدب ولا البلاغة ولا علم الفلك وإنما يلقون درسا في التوحيد للعامة[1].

وفي جوان من سنة1900م صدر برنامج من طرف إدارة الشؤون الأهلية للحكومة العامة خاص بالمدرسين[2]، ويحتوي البرنامج على مواد إجبارية ومواد اختيارية، فالمواد الإجبارية فهي النحو واللغة، أما الاختيارية فهي علوم الدين والأدب ولكن المدرسين لم يلتزموا بهذا البرنامج رغم المراقبة الشديدة فقد كان المدرسون يتناولون مواضيع في الجهاد، والتي تمثل خطرا بالنسبة للفرنسيين، وقد أخذ المفتشون يوجهون تعليم المساجد نحو العصرنة، باستعمال المدرس للسبورة والاحتفاظ بدفتر الحضور، ومراعاة هيئة المدرس[3].

أما عن دروس المساجد الغير رسمية فإنها لم تنقطع، فالمدرسون المتطوعين الذين كانوا يقومون بتدريس العامة بعد أخذ رخصة إدارية من السلطات المحلية، وكانوا لايأخذون أجرا على ذلك، ولقد كان الناس يقبلون على هؤلاء المتطوعين أكثر مما يقبلون على الرسميين لارتباطهم في نظرهم بالإدارة الفرنسية، ومن بين هؤلاء المدرسين المتطوعين نجد الشيخ علي بن القيم والشيخ محمد بن الأزعر[4].

---

(1) أبو القاسم سعد الله:المرجع السابق، ج3، ص 63.

(2) وكان على رأس الإدارة دومنيك لوسياني الخبير في الشؤون الجزائريين والعرب والإسلام، والدي له عدة مؤلفات بالعربية والبربرية، أنظر: المرجع نفسه، ص66.

(3) المرجع نفسه، ص 160.

(4) المرجع نفسه، ص ص 161- 165.

الزوايا:

نظرا للدور الكبير الذي قامت به الزوايا في نشر التعليم قامت السلطات الفرنسية بإجراءات صارمة للحد من خطورة هذا الدور، فكان أول قرار يتعلق بالزوايا وأملاكها الصادر بتاريخ 07 ديسمبر1830م، والقاضي بجمع كل أوقاف وأملاك الزوايا والمؤسسات الدينية، إضافة إلى أمر الملكية الصادر في 21 أوت 1839م والذي وضع أساليب التسيير المالي للجزائر والفصل النهائي في الأمور المتعلقة بالأوقاف[1].

فلقد حورب التعليم في الزوايا عموما فقد هدمت بعضها وصودرت أوقافها، ومحاربة كبار المرابطين واستدراجهم بالوظائف، وتشجيع الدروشة والتدجيل مكان العلم، ولما شعر الفرنسيون بالخطر الذي سينتج عن هدم زوايا المدن قرروا تعويضها بإنشاء مدارس إقليمية وذلك لملء ذلك الفراغ ومحاصرة تعليم الزوايا، ولقد تأثرت زوايا الأرياف كذلك بتدخل السلطات الفرنسية لفرض رقابتها عليها[2].

وبعد صدور مرسوم 18 أكتوبر1892م، أدمج تعليم الزوايا في المدارس الابتدائية الفرنسية، وأخضعها للمراقبة والتفتيش، واشترط المرسوم أن يكون لكل زاوية سجل لتسجيل التلاميذ وعائلاتهم ومحل إقامتهم[3]، وبتاريخ 24نوفمبر 1895م، صدرت ألامرية[4] متضمنة لقوانين أخرى تهتم بالتسيير

---

[1] صبحي إحسان:**النظام التربوي الاستعماري في الجزائر**، دار رياض العلوم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2005م، ص 73.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص 174.

[3] المرجع نفسه، ص 176.

[4] تصدر في شكل دوريات توزع على مستوى الأعراش والأهالي تتابع وسائل المراقبة على مقدم الزاوية ووكيل وقفها وعلى الأهالي. أنظر: صبحي إحسان: المرجع السابق، ص 74.

المالي والإداري للزوايا والمراقبة الشديدة والمستمرة لكل من السيخ والوكيل والمقدم من خلال انتمائهم المذهبي ومكان إقامتهم وحالتهم المالية، والأعراش التي يؤثرون عليها وعدد المنتمين للشيخ والزاوية، كما صدرت عدة قوانين منها قرار المؤرخ في 30 جوان 1898م، ينظم التسيير المالي للمؤسسات حسب عدد المدرسين بها، وأشار القرار تحديدا إلى بعض المدن كتيزي وزو، البليدة، المدية، وهران، تلمسان، البيض، عنابة، بجاية، بسكرة.

ثالثا: سياسة فرنسا اتجاه التعليم في المدارس القرآنية:

كان مصير المدارس القرآنية كمصير المساجد والزوايا وهو الهدم في الكثير من الأحيان ففي مدينة الجزائر نجد على سبيل المثال مدرسة جامع السيدة في والتي هدمت سنة1830م، ومدرسة خير الدين والتي هدمت في سنة 1831م، ومدرسة جامع ستي مريم والتي هدمت سنة 1838م...[1].

ولقد تركت السلطة الفرنسية المدارس القليلة المتبقية مع المراقبة،واشتراط الإذن المسبق لمؤسس كل مدرسة قرآنية[2]، فوفقا لمرسوم 1887/12/06م تم إخضاع المدارس القرآنية إلى رقابة وتفتيش شديدة ومعرفة الانتماء السياسي للقائمين على هذه المدارس، فقد حاولت السلطات الفرنسية محاصرة هذه المدارس وقطع صلتها بالمشرق العربي والتركيز على المذهب المالكي وإظهار الخلاف مع المذهب الحنفي الذي تعمل به الخلافة الإسلامية في إسطنبول[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج3، ص 38.

[2] شارل روجي أجرون:**المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية**، تر: محمد العربي ولد خليفة، تالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013م، ص 141.

[3] عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 191.

وكانت المدارس القرآنية معرضة في أي وقت للغلق من طرف الحاكم العام أو حاكم المنطقة العسكرية، ولا يمكن أن تأسس مدرسة قرآنية دون موافقتهم، ولقد فرضت الإدارة الفرنسية على المدرسين في الكتاتيب رخصة التنقل والتجول في البلاد وذاك للحد من نشاط المدرسين،هذا ما يؤكده مرسوم 1887/01/18م،ويتمثل في إشراف البلديات على المدارس ذات التعليم الحر ومراقبة مدرسيها ولا يستثنى في ذلك حتى الذي يدرس عند أحد الأعيان[1].

ولقد نص مرسوم 1892/10/18م على أن يلبي المؤدبون في المدارس القرآنية شروط الصحة، ويشترط فيهم عدم استعمال وظائفهم لتعليم أمور أخرى غير القرآن، ونص هذا المرسوم على الغلق الدائم أو المؤقت في حال مخالفة هذا القانون[2].

وفي سنة1904م أصدرت السلطات الفرنسية قانونا يحظر على الجزائريين فتح أي مدرسة أو كتاب إلا بترخيص، وعندما يمنح الترخيص يشترط عليه استبعاد تاريخ الجزائر وجغرافيتها وإلا يعرض صاحبها إلى سحب الرخصة وإغلاق المدرسة أو الكُتاب[3].

[1] عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 193.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ج3،ص 53.

[3] عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 154.

المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتعليم العربي الحر(1931ـــ1956م)

أولا:التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أ) تأسيسها: لقد أخذت بوادر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تبرز للحقيقة في سنة 1913م بعد لقاء العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس[1]، بالعلامة الشيخ البشير الإبراهيمي[2]،(رحمهما الله) بالأراضي المقدسة، فكان يقضيان وقتهما يبحثان ويدرسان أوضاع الجزائر المتردية، ويفكران في الوسيلة المناسبة التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة للنهضة الشاملة[3].

ففي جويلية من عام 1930م بلغ عمر الاحتلال الفرنسي في الجزائر قرنا كاملا، وبهذه المناسبة أقامت فرنسا احتفالات صاخبة في الجزائر والتي دامت شهرين فقط نظر لمقاطعة الشعب الجزائري لها، هذه الاحتفالات التي إتخذت صورة استفزازية بالنسبة لمشاعر الجزائريين، فكانت هذه الاحتفالات عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى حيز الوجود

---

(1) هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في 1889/12/04م، في مدينة قسنطينة، ولقد نشأ في أسرة مشهورة بالعلم، ولقد تلقى تعليمه على الطريقة التقليدية فحفظ القرآن الكريم وسنه ثلاثة عشر عاما، ولقد تميز بالذكاء وسيرته الحسنة، وبعد الانتهاء من حفظ القرآن الكريم اختار له والده أحد علماء مدينة قسنطينة وهو الشيخ أحمد حمدان لونيسي، وبعدها سافر إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، وكانت له عدة رحلات منها رحلة إلى بيت الله الحرام في سنة 1913م والتي التقى فيها بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والتي من خلالها ظهرت فكرة الجمعية، والتي ترأسها فيما بعد الشيخ عبد الحميد بن باديس، إلى وفاته في 1940/04/16م.أنظر، تركي رابح عمامرة،**الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،ط5، الجزائر، 2001م، ص 153-160.

(2) هو الشيخ محمد البشير طالب الإبراهيمي، ولد في عام 1889م في قرية أولاد إبراهيم بالقرب من مدينة سطيف،تعلم على يد والده وعمه وأكمل تعلمه بالحجاز بعد هجرته إليها في سنة 1911م ملتحقا بوالده، ثم رجع إلى الجزائر عام 1920م وشارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس أنتخب رئيسا لها، توفي في 1965/05/19م. أنظر: تركي رابح، المرجع السابق، ص 162.

(3) الطاهر زرهوني:"التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال" ،**مجلة الثقافة**، العدد 95 سبتمبر، أكتوبر 1986م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص 264.

الفعلي،فقبل أن ينقضي عام على هذه الاحتفالات تم تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931/05/05م من طرف صفوة من العلماء جمعت بينهم وحدة الهدف والفكرة، ولقد إتخذت الجمعية "نادي الترقي"[1] مقرا لها، وتولي رئاسة الجمعية منذ البداية السيخ عبد الخم بن باديس بعد انتخابه من طرف زملائه، وتولى نيابة الرئاسة الشيخ محمد البشير لإبراهيمي[2].

ب) مبادئها و أهدافها التعليمية: تتلخص مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة عامة في الشعار الذي ينسب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو"الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"[3].

إن جمعية العلماء كما يدل اسمها فهي جمعية تضم العلماء، فجانب المعرفة والعلم هو العنصر الأساسي الذي يجمع مؤسسيها، فلقد أعلنت جمعية العلماء على أنها جمعية غير سياسية، بل هي جمعية علمية تربوية تهدف إلى تعليم وتربية الشعب[4]، ومن الجانب التعليمي فيظهر هدفه في الفصل السادس من القانون الأساسي للجمعية الذي ينص على "أن للجمعية أن تؤسس شعبا في القطر وأن تفتح النوادي والمكاتب الحرة للتعليم الابتدائي"[5].

---

(1) تأسس سنة 1926م في مدينة الجزائر، وكان من أهدافه تثقيف مسلمي الجزائر وإعانة الفقراء، ولقد أستدعي الشيخ الطيب العقبي للوعظ والإرشاد به، والذي صار فيما بعد مقرا لجمعية العلماء المسلمين . أنظر: إلى عبد الكريم بوالصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1954م)**، دار البعث للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981م، ص 201.

(2) تركي رابح عمامرة:**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2004م، ص 42.

(3) المرجع نفسه، ص 44.

(4) صبحي إحسان: المرجع السابق، ص 122.

(5) عبد الرحمان شيبان:**من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، ب ط،دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص22.

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ووسائلها التعليمية:

إن أهم عمل قامت به جمعية العلماء المسلمين نشر التعليم العربي الذي أراد الاستعمار الفرنسي القضاء عليه، ولقد عملت على تنظيم وسائله، ومناهضة السياسة الفرنسية اتجاه هذا التعليم، ومن أهم وسائلها:

أ) المساجد: للمسجد أهمية كبيرة لدى جمعية العلماء، باعتباره ذا بعد حضاري تاريخي، يحظى بالقبول للجزائريين ولانتشاره في جميع المناطق والأحياء[1]،وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس" إن المساجد معمورة بدروس العلم، فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منه طبقة مثقفة ... وهكذا ينتشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها"[2].

لقد كانت المساجد تقوم على نوعين من التعليم فنجد دروس الوعظ الموجهة لعامة الناس وهي في العادة تكون في الليل بين صلاة المغرب، وصلاة العشاء، وأيام الجمعة من كل أسبوع، وتنشط جمعية العلماء عادة أثناء العطلة الصيفية وفي المناسبات الدينية، ومن جهة أخرى الدروس المنظمة في بعض المساجد والجوامع الهامة في قسنطينة، وتبسة، وسطيف، وغيرها من المساجد، ويتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار في المستوي الثانوي على الطريقة والكتب، والأسلوب المعروف في الجوامع الإسلامية الكبرى، كالأزهر، والزيتونة، والقرويين[3]. أما عن الطريقة التي كانت تتبعها الجمعية في

---

[1] صبحي إحسان: المرجع السابق،ص 125.

[2] عمار الطالبي:**آثار الأمام عبد الحميد بن باديس**، ج3، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ب ط، 2009، ص227.

[3] تركي رابح عمامرة:**التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1975م، ص ص 228 - 229.

الوعظ والإرشاد بالمساجد هي طريقة السلف الصالح بتذكر بكتاب الله تشرحه وتستجلي عبره، وبالصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسير الصحابة[1].

ولقد نشط التعليم والوعظ والإرشاد في المساجد،مما جعل الشعب يلتف حول الجمعية، هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تصدر قرار في 1933/02/16م، والذي يمنع رجال جمعية العلماء من التدريس في المساجد، وإقامة حلقات الوعظ والإرشاد، هذا ما جعل أعضاء الجمعية يحتجون في كثير من المرات،وعلى الرغم من كل العراقيل التي كانت تضعها الإدارة الفرنسية فإن جمعية العلماء جعلت من المسجد مركز إشعاع قوي، والذي ساهم في إفشال خطط الاستعمار، هذا ماجعل جمعية العلماء تنشط في تأسيس المساجد والجوامع في المدن والقرى[2].

المدارس الحرة: لقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تكوين المدارس الحرة[3]، لتعليم الأولاد والبنات اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتاريخ الجزائر، ومبادئ الحساب والعلوم الحديثة[4].

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي" إن المدرسة هي جنة الدنيا والسجن هو نارها والأمة التي لاتبني المدارس تبنى لها السجون"[5].

---

[1] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:**سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر،2008، ص 62.

[2] محمد الحسن الفضلاء:**المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر**، ج1، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 1999م، ص41.

[3] يقصد بها تلك المؤسسات التعليمية التي أنشأت مند أوائل العشرين، ولقد انطلقت انطلاقة قوية مند حوالي 1920م على يد أفراد أو جماعات لنشر التعليم العربي الإسلامي في الجزائر، ويدخل في هذا التعريف المدارس التي قامت في المدن وفي الأرياف، وسميت بالمدارس الحرة لعدم تدخل السلطة فيها إلا في المراقبة، ولقد شهدت تطورا كبير فيما بعد لدور جمعية العلماء فيها. أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص ص238- 239.

[4] تركي رابح عمامرة:**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، المرجع السابق، ص 75.

[5] البصائر،العدد 172، السنة الرابعة، 15 أكتوبر 1951م، ص 3.

ولقد انتشرت المدارس الحرة في نطاق واسع، فلقد بلغت حتى عام 1954م أكثر من 150 مدرسة يتردد عليها أكثر من خمسين طفلا وبنت وفق برنامج يجمع بين ضروريات العلم، وبين إيجابيات التربية الإسلامية والقومية، والوطنية الصحيحة، فلقد طبق المعلمون في المدارس طريقة سهلة وحديثة في تعليم اللغة العربية وذلك بتلقين التلاميذ أبسط القواعد وأسهل التراكيب، والإكثار من التمارين كي ترسخ القواعد في أذهانهم، كما عملوا على تطهير اللغة العربية من الكلمات الدخيلة، وشجعوا التلاميذ على الخطابة، أما عن الكتب فقد كانوا يختارون منها ماهو أقرب إلى الإفادة واعون على الملكة العلمية في تلاميذها، وتجنب الكتب المعقدة، والعمل على توجيه التلاميذ إلى روح المطالعة النافعة، وإلى طرائق البحث العلمية[1].

فلقد اهتمت جمعية العلماء بالمنهج التعليمي وبرامجه، ومن أجل هذا كانت الجمعية تدعوا معلمي مدارسها إلى عقد مؤتمرات دورية تهدف إلى تبادل الآراء فيما يخص التعليم العربي الحر وتوحيد مناهجه، ومن بين هذه المؤتمرات مؤتمر المعلمين الأحرار المنعقد في 22/09/1937م[2].

ولقد بلغ عدد المعلمين الأحرار في سنة 1951م، حوالي 275 معلما ومعلمة[3]، وكانت الجمعية تهتم أول ما تهتم عند اختيارها للمعلمين، قوة شخصية المعلم من ناحية، وحسن أخلاقه وكفائتة المهنية من جهة أخرى، ولقد كان المعلمون في مدارس الجمعية مرتبين في أربع درجات[4].

---

(1) تركي رابح عمامرة:**الشيخ عبد الحميد بن باديس**، المرجع السابق، ص ص397-398.

(2) محمد الحسن فضلاء:**المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع الجنوبي**، ج2، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1999م، ص 5.

(3) البصائر، العدد 172، السنة الرابعة، 15 أكتوبر 1951م، ص 3.

(4) تركي رابح عمامرة:**التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 219.

وكثيرا ما تعرضت هذه المدارس الحرة إلى المضايقات من طرف السلطات الفرنسية فلقد عملت على غلق المدارس التي لاتتمتع برخصة هذا ما أكده من قبل قرار 08/ 03/1938م، ورغم غلق العديد من المدارس، وفرض الغرامات على المعلمين، إلا أن المدارس العربية الحرة كانت في ازدياد، وحول هذا القرار احتجت الجمعية وطالبت بحرية التعليم، وإعطاء رخصة التعليم الإسلامي العربي[1].

أما عن طرق تمويل هذه المدارس فهي تعتمد بشكل كبير على التبرعات على اختلاف نوعها و التي يتلقاها من المواطنين، إضافة إلى الزكاة والأوقاف التي يوقفها عليه أهل البر والإحسان، ولا يتلقى أية مساعدة من إدارة الاحتلال[2].

فالمدارس العربية الحرة كما يقول على مرحوم" إن المدارس العربية الحرة لاحظ لها في الميزانية العامة التي تمدها الأمة بالنصيب الأوفر من الدخل، ولكنها تحرم من الاستفادة منها في تعلم لغتها لأن شريعة الاستعمار في هذا الوطن تعتبر اللغة العربية لغة أبناء البلاد الأجنبية، إذ لايكون لها إلا نطاق ضيق، كبقية اللغات الأجنبية الأخرى، وتجعل لغة أبناء الاستعمار هي اللغة الرسمية، وهي التي يجب أن تحظى بالمقدار الضخم من الميزانية لتسود وتنتشر..."[3].

وكان للجمعيات المحلية دور كبير في عملية التمويل، فلقد كان هناك التزام بين جمعية العلماء، وبين الجمعيات المحلية، بمقتضاه أن تتولى جمعية العلماء على الإشراف على جميع الشؤون الفنية المتعلقة بالتعليم، من برامج، وكتب، والمعلمين، والتفتيش، بينما تقوم الجمعيات المحلية - والتي تعتبر فرع من

---

[1] تركي رابح عمامرة:**الشيخ عبد الحميد بن باديس**، المرجع السابق، ص 390.

[2] تركي رابح عمامرة:**التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 310.

[3] على مرحوم: "تمويل التعليم العربي الحر"، **مجلة البصائر**، العدد 101، السلسلة الثانية، 02 جانفي 1950م، ص 3.

فروع جمعية العلماء - بجمع المال اللازم لتسيير التعليم وبناء المدارس، وتأثيثها، ودفع رواتب المعلمين، وأجور العاملين بهذه المدارس[1].

ومن أهم المدارس الحرة التي أسستها جمعية العلماء _ نذكر بعضها_ مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر بقسنطينة، والتي تأسست في سنة1931م، ومدرسة دار الخيرية الإسلامية بالعاصمة التي تأسست في سنة 1933م، ومدرسة الإرشاد بالبليدة التي تأسست في سنة1931م[2].

ج) النوادي:

لقد ظهرت النوادي قبل ظهور جمعية العلماء، إلا أن عددها بعد نشأت الجمعية ارتفع ارتفاعا بارزا، فقد استغلت هذه النوادي وبمرور الوقت عملت على إنشاء نواديها الخاصة، فلقد كان النادي الوسيط بين المسجد والمدرسة، فمن خلاله كانت الجمعية تقنع الناس للذهاب إلى المسجد أو الالتحاق بالمدرسة[3].

ومن هنا كانت غاية هذه النوادي إصلاح ما أفسدته المقاهي والملاهي من أخلاق الشباب، فهي ميادين للعمل، ومنابر للخطابة، وأماكن للعلم والتعلم[4].

ولقد انتشرت نوادي الإصلاح في أنحاء الوطن ومن بين أهم النوادي نجد نادي الترقي الذي تأسس في سنة 1926م، والذي أصبح بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مركزا للمحاضرات العلمية باللغة العربية، كما كان مركزا للدروس الدينية والاجتماعية، التي تعالج مشاكل

---

[1] البصائر:**لجنة التعليم العليا**، العدد 67، 14 فيفري 1949م، ص 5.

[2] محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ج2، ص ص 42،52.

[3] صبحي إحسان: المرجع السابق، ص 134.

[4] تركي رابح عمامرة:**التعليم القومي والشخصية الوطنية**، المرجع السابق، ص 229.

المجتمع الجزائري على ضوء تعاليم الدين الإسلامي، وأحكام الشريعة، ومن الشخصيات الذين كانوا يلقون فيه المحاضرات والدروس بتنوعها، الشيخ عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، أحمد توفيق المدني، وغيرهم من قادة التجديد، والتعليم العربي في الجزائر[1].

وخلاصة القول من خلال هذا الفصل الخاص بالتعليم في العهد العثماني وتطوراته أثناء الإحتلال نقول أن التعليم في العهد العثماني كان حر وخاص،يعتمد على الأوقاف، وصدقات المحسنين فلم يكن للدولة العثمانية أي دخل في مجال التعليم باستثناء بعض المحاولات مثل محاولات صالح باي، المحسنين كان التعليم في هذه الفترة يشمل ثلاث مراتب، إبتداء بالتعليم الابتدائي، والمتمثل في الكتاتيب والمدارس القرآنية، والتعليم الثانوي، والمتمثل في المساجد والزوايا.

وكان لدخول الفرنسيين إلى الجزائر أثر بالغ في تدهور أوضاع التعليم، فأول عمل قامت به هو هدم المساجد، ومصادرة أوقافها، و تنظير مراسيم وقوانين للحد من مهمة هذه المدارس، إضافة إلى تعرض أكثرها إلى الهدم والغلق.

وبعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان لها دور بارز في النهضة بالتعليم الحر، من خلال زعمائها، والوسائل التي اعتمدت عليها،من تنظيم التعليم في المساجد،وإنشائها للمدارس الحرة وتطوير برامجها، وتأطير المعلمين بها.

هذا النوع من التعليم الذي كان منتشرا في منطقة غرداية من خلال المحاضر والمساجد،والمدارس الحرة الحديثة، نتيجة لجهود بعض المشايخ المحليين،وبعض خريجي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،(الإباضية، المالكية)، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل القادم.

[1] صبحي إحسان: المرجع السابق، ص136.

الفصل الثاني

التعليم الحر بمنطقة غرداية (1892- 1962م)

المبحث الأول: التعليم الحر عند الاباضية

المبحث الثاني: التعليم الحر عند المالكية

يمكن إن نقسم التعليم الحر في منطقة غرداية إلى قسمين وذلك حسب المذهب فهناك التعليم الحر عند الاباضية ، والتعليم الحر عند المالكية، بتعدد مراكزه ورواده.

المبحث الأول: التعليم الحر عند الإباضية

أولا: أهم مراكز التعليم الحر عند الإباضية

لقد كان التعليم عند الإباضية يعتمد على الكتاتيب القرآنية، والتي تسمى أيضا بالمحاضر فلكل مسجد من مساجد القرى السبع محضرة لتعليم الصبيان القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة، هذا بالإضافة إلى بعض الدور التي فتحها بعض المدرسين. هذا النوع من التعليم الذي شهد تطور خاصة في منتصف القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين[1].

ولقد لقيت فكرة إنشاء المدارس العصرية صعوبات كبيرة نتيجة لتعصب طائفة من غلاة المتعصبين للقديم، فهم يعتقدون أن استعمال هذه الأساليب الحديثة يعتبر تأسيا بالكفار ولذلك يجب مقاومتها. و لم يقبل الناس على هذا الأسلوب العصري (المدارس) إلا بعد أن هب غيرهم إلى إنشاء المدارس النظامية في البلدان الأخرى، كمدرسة عباس بن حمانة في تبسة، ومن هنا أخدت تبرز مدارس هنا وهناك في شكل بسيط والتي تطورت شيئا فشيئا[2].

ونذكر بعض النماذج من المعاهد والمدارس التي كان لها الدور الكبير في مسيرة التعليم الحر عند الإباضية فمن بين أهم هته المراكز:

---

[1] يوسف الحاج سعيد: المرجع السابق، ص153.

[2] عبد الرحمان بن عمر بكلي:**مسيرة الإصلاح في جيل (1918- 1948م)**، تق، مصطفى صالح باجو، المطبعة العربية،ط1، غرداية، الجزائر، 2004م، ص 165.

1) معهد بن يزقن: والذي كانت بداياته في حوالي1267هـ/1850م، من طرف الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، فقد كان في بداية الأمر يدرس في بيته، ولقد حول فيما بعد إلى معهد، كما كان يدرس في المسجد ببني يزقن و في بونورة، ومن شروط قبول التلميذ في هذا المعهد حفظ القرآن الكريم، ويضاف إلى ذلك حفظ المتون الضرورية والاستقامة في السلوك والسيرة، ولقد قسم التلاميذ إلى طبقة المبتدئين، وطبقة المتوسطين، أما عن المواد المدروسة فنجد العلوم الدينية (تفسير وحديث، الفقه وأصوله)، والعلوم اللغوية والأدبية(النحو، والصرف،والبلاغة والعروض والأدب)[1].

2)معهد الحياة: أفتتح هذا المعهد في يوم الجمعة 21ماي 1925م[2]، من طرف الأستاذ إبراهيم بيوض، ولقد سمي أول مرة بمعهد الشباب،وبعد تأسيس جمعية الحياة في سنة1937م، أخذ المعهد اسم الجمعية" الحياة"، ولقد قسم المعهد التلاميذ إلى ثلاث طبقات على حسب درجاتهم وحظهم من الذكاء[3]، فالطبقة الأولي تزاول الفقه والأصول والبلاغة والنحو والصرف والمنطق، والطبقة الثانية تزاول التوحيد والنحو والصرف، والطبقة الثالثة تزاول التوحيد والفقه لتلقين الصبيان، والنحو، إضافة إلى الدروس العمومية أما عن البرنامج فقد قسم إلى قسمين: قسم يتناول دار العلوم وقسم يتناول دار القرآن [4].

---

[1] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، المرجع السابق،ص ص264 _272.

[2] سعيد بن الحاج شريفي: **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تق، محمد صالح ناصر، جمعية الحياة وجمعية التراث،القرارة،ط2، غرداية، الجزائر، 2009م،ص 59.

[3] Salah ben drissou, **Institut al Hayat,1925_1965**,un exempie D'ecole reformist ebdit ou Mzab, mémoire de DEA uneversete paris, annes 1994, p 33

[4] سعيد بن الحاج شريفي: المصدر السابق،ص63.

ولقد تعرض المعهد لكثير من المضايقات والعقوبات من طرف الإدارة الفرنسية هذا ما جعله يعمل في نطاق ضيق، وأما عن الأساتذة الذين تعاقبوا على المعهد مند نشأته إلى الاستقلال فتجاوز عددهم الخمسين من أهمهم: الإستاد محمد الناصر، الداود براهيم بن عمر، ولقد عرف المعهد إرسال بعثات علمية في سنتي 1942و1944م،مواصلا بذلك رسالة ربط النشاط التعليمي الحديث في المنطقة بنظيره في الجزائر وتونس[1].

3) **مدرسة الحياة:** في سنة1930م تأسست مدرسة الحياة بقيادة الأستاذ محمد الطرابلسي، وبعد تأسيس جمعية الحياة في سنة 1937م، أصبحت المدرسة تحت كفالة الجمعية، فازدهرت المدرسة وتوسعت، هذا ماجعل السلطات الفرنسية تقوم بإغلاقها مدة سنة كاملة وكان ذلك في سنة1938م،وبفضل المساعي الحميدة استأنفت المدرسة أشغالها، فبنيت عدة أقسام، وفي سنة 1961م افتتحت المدرسة الجديدة، مما جعل البنات يترددون عليها في غير أوقات الذكور[2].

4) **مدرسة الإصلاح:** تأسست هذه المدرسة في 14أفريل 1928م بغرداية، حيث كانت البداية بغرفتين ومعلمين وهما صالح بابكر بن قاسم، وإبراهيم بن حاج بكير، وبعدها تعددت أقسام المدرسة نتيجة لإقبال التلاميذ عليها، حتى البنات أصبح لهن مركزا تحت إشراف المدرسة، وبالتدريج أصبح عددهن يوازي في بعض الأحيان عدد الذكور، أما عن برنامج المدرسة فنجد القرآن الكريم، والتجويد والفقه والعقائد، وتاريخ، إضافة إلى الصرف والأدب والأناشيد[3]، ولقد وجهت المدرسة عدة بعثات إلى معاهد داخل البلاد(معهد الحياة)،وبعثات أخرى إلى الأزهر، والزيتونة، والمدينة المنورة[4].

4) مدرسة النهضة:

تأسست هذه المدرسة في سنة1351هـ/1932م في مدينة العطف بالقرب من المسجد العتيق، والتي كانت تحت إشراف الشيخان أحمد بن الحاج يحي بكلي، وعيسى بن الحاج صالح عيسى،

---

[1] محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ج2، ص 190.

[2] المرجع نفسه،ج2، ص 192.

[3] المرجع نفسه، ص ص 200 -201.

[4] المرجع نفسه، ص 203.

واللذان كان لهما دور كبير في ازدهار هته المدرسة، وفي سنة 1945م تأسست جمعية النهضة بصفة رسمية، فبنت في سنة 1946م قسمين آخرين للمدرسة مما زاد من حيويتها، ومن أهم معلمي المدرسة أحمد حاج بكلي،عيسى بن إبراهيم خير الناس، حاج إسماعيل، الحاج أحمد بابا عمي، وكلهم تحت إشراف الأستاذ إبراهيم بن يحي حاج أيوب[1].

5) مدرسة النور:

كانت هذه المدرسة محضرة في بداية الأمر تابعة لمسجد بونورة، ولقد سعى بعض معلميها على تطويرها وإدخال تحسينات عليها[2]، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية تقوم ببناء مدرسة فرنسية بدلها، واستمرت المدرسة في تعليم القرآن طريقتها العادية، وبعد تأسيس جمعية النور في أكتوبر 1945م،[3] بإشراف الأستاذ حمو بن محمد النوري تم تقسيم المدرسة إلى ستة أقسام، أربعة أقسام للذكور، وقسمان للإناث، ثم اتسع المشروع ليصل إلى اثني عشر قسما عند الاستقلال، ومن أشهر معلمي المدرسة نذكر: بكير بن موسى حني، محمد بن الصالح صالح بن زايط[4].

6) مدرسة الفتح:

تأسست مدرسة الفتح في بريان في سنة1347هـ/1928م، ولقد دشنها الأستاذ إبراهيم بيوض مع جماعة من كبار المدرسين، فالمدرسة ومند نشأتها سارت على الطريقة التقليدية حتى سنة 1930م

---

[1] محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 242.

[2] المرجع نفسه، ص 244.

[3] يوسف بن الحاج بكير: المرجع السابق، ص156

[4] محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ص 218.

دخلها نوع من التطور بتجهيز الأقسام بالمقاعد والسبورة[1]. ولقد قامت المدرسة بإرسال بعثة أولى إلى معهد الحياة في سنة 1934م، وبعثة ثانية إلى تونس سنة 1947م ولقد جيء بالأستاذ عبد الرحمان بن عمر بكلي الذي أعطى دفعا كبير للمدرسة[2].

ثانيا: أهم رواد التعليم الحر عند الاباضية

أ) محمد بن يوسف أطفيش ودوره التعليمي:

هو أمحمد بن يوسف بن عيسى ابن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى ابن إسماعيل بن عبد العزيز بن بكير الحفصي، ولد في سنة 1237هـ /1818م، ببني يزقن، وهو من عشيرة (باحمد) نسبة لأحد أجداده الذي حل ببني يزقن وترك بها ذريته، أما والده فكان يمتهن التجارة بين غرداية والمدن الشمالية كعادة أهل ميزاب[3]، أما أمه فهي مامة ستي بنت الحاج سعيد بن عدون وهي من عشيرة آل يدر ببني يزقن[4]، بعد وفاة والده تولت أمه تربيته وعهدت به أحد المربين لحفظ القرآن الكريم[5].

فلقد كان مند صغره ذا ذكاء ومحب للعلم، فلقد ختم القرآن وعمره ثمان سنوات، ففتح له مجال العلم وسارع إلى دور العلم وحلقات الدروس في المساجد، ولقد أخد مبادئ النحو والفقه، وعلوم الدين والمنطق ، والفلك عن أخيه الأكبر إبراهيم بن يوسف[6]، وكان يحضر حلقات الشيخ

---

[1] محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ص 222.

[2] المرجع نفسه، ص 223.

[3] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج3، المرجع السابق، ص 265.

[4] سعيد بن بكير أعوشت:**العلامة أمحمد بن يوسف إطفيش، حياته، آثاره الفكرية، جهاده**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1989م، ص 62.

[5] إبراهيم بحاز، وآخرون:**معجم أعلام الإباضية**، مج4، جمعية الثرات،ط1، غرداية، 1999م، ص 836.

[6] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 266.

ابن سليمان نوح، وحلقة الشيخ الحاج سليمان بن عيسى،وبعد أخده لهذه المبادئ والعلوم عمل على اقتناء الكتب، فتجمعت له مكتبة غنية بالكتب المختلفة، وما كاد يبلغ العشرين من العمر حتى جلس للتأليف[1].

لقد بدأ أمحمد بن يوسف الملقب بالقطب التدريس في المسجد، بدروس للعامة مع الفجر ودروس لتلامذته في باقي الأوقات، وكان في كل مرة يزور المدن الأخرى(بريان، القرارة ...) لإلقاء الدروس العامة على الرجال والنساء في الوعظ والإرشاد، كما زار العديد من المدن خارج البلدة مثل ورقلة، والبرج، وعنابة، وقصر البخاري للتدريس والوعظ[2].

أنشأ القطب معهد للتدريس في بن يزقن، وفق منهج يعتمد فيه على استغلال الوقت، والتركيز على التلقين، أما عن الدروس فهي مستمرة طيلة أيام الأسبوع ماعدا الجمعة، ولا يدرس في الليل إلا الغرباء والنجباء[3]، وتنقسم المواد المدرسة في المعهد إلى دروس دينية ، من تفسير وحديث وفقه، وعلوم لغوية وأدبية، من نحو وصرف وبلاغة، توفي الشيخ القطب في 1332هـ/ مارس 1914م[4].

ومن بين أهم التلاميذ الذين تخرجوا على يده (إبراهيم الأبريكي، إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان،صالح بن عمر لعلي،...) ولقد ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم والتي لا يسعنا ذكرها كلها ومن بين أهمها: في تفسير القرآن الكريم(تيسير التفسير،داعي العمل ليوم الأمل...) في التاريخ (الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب...)[5].

---

[1] إبراهيم بحاز، وآخرون: المرجع السابق، 837.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 267.

[3] إبراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، ص 237.

[4] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ص 273.

[5] إبراهيم بحاز، وآخرون: المرجع السابق، مج 2، ص 844.

ب) إبراهيم أبو اليقظان ودوره التعليمي:

هو إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان، ولد في 29 صفر1306هـ/ 05نوفمبر1888م بمدينة القرارة[1].

ولقد بدأ مشواره العلمي بمسقط رأسه بالقرارة، حيث حفظ القرآن الكريم واستظهره عند الحاج إبراهيم بن كاسي، ودرس فيما بعد في معهدي الحاج عمر بن يحي والحاج إبراهيم الابريكي لتلقي مبادئ التوحيد والفقه لما لهذا المعهد من شهرة علمية ودينية[2].

وفي سنة 1907م، انتقل إلى معهد القطب ببني يزقن، وكان من أبرز تلامذته، وبعدها انتقل إلى تونس على رأس بعثة علمية في سنة 1912م، وبعد عودته إلى القرارة سعى إلى تطوير معهد شيخه الحاج عمر بن يحي، وأنشأ في سنة 1915م دار للتعليم على النمط الحديث، ولقد استمرت نحو سنتين، ثم أعاد الكرة إلى تونس على رأس بعثات أخرى إلى أواخر سنة 1926م، هذه البعثات التي كان لها الأثر الكبير في النهضة العلمية، ونشر التعليم المنظم بالأساليب العصرية[3]،كما أنه عمل على تطوير معهد الحياة مع الأستاذ إبراهيم بيوض، هذا بالإضافة إلى أنه من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولقد دخل أبو اليقظان ميدان الصحافة الجزائرية في الجزائر فأصدر ثماني جرائد وطنية (النور، البستان، النبراس، الأمة، الفرقان، ميزاب، المغرب، وادي ميزاب)[4].

---

(1) محمد صالح بن ناصر:**مشائخي كما عرفتهم**، دار الريام للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008م، ص 57.

(2) محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 265.

(3) سعيد بن الحاج شريفي:**معهد الحياة**، المصدر السابق، ص 23.

(4) إبراهيم بحاز،وآخرون: المرجع السابق، مج 2، ص 53.

ولكن السلطات الفرنسية كانت في كل مرة تقوم بتعطيلها وإسقاطها[1]، ثم عاد إلى القرارة واشتغل بالتأليف والإصلاح، والتدريس في المسجد،إلى أن توفي في صفر سنة 1393هـ/30 مارس 1973م، ومن آثاره الفكرية تأليفه حوالي ستين عنوان من مختلف الفنون، بين كتب وبحوث ورسائل[2].

ج) إبراهيم بيوض ودوره التعليمي:

هو إبراهيم ابن عمر بيوض ولد في 11ذو الحجة 1313هـ/ 21أفريل 1889م بمدينة القرارة[3]، كان والده عمر بيوض من أعيان البلاد ومصلحيها، ولقد استظهر إبراهيم بيوض القرآن الكريم قبل سن البلوغ، فلتحق بذلك إلى حلقة حفاظ القرآن الكريم، و أخد مبادئ الفقه والعربية عن الحاج إبراهيم الابريكي، وأبو العلا عبد الله، والحاج عمر بن يحي، هذا الأخير الذي كان يلازمه ويخضر جلساته مع أعيان البلد، فأصبح ذا دكاء وفصاحة مما جعله ينوب شيخه في تدريس البلاغة والمنطق أثناء غيابه[4].

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى جند في الخدمة العسكرية، وبعد رجوعه ساهم في مقاومة هذا التجنيد حتى أصدرت فرنسا قانونا يعفي وادي ميزاب من التجنيد، وفي سنة 1921م وبعد وفاة شيخه الحاج عمر بن يحي خلفه في التعليم والوعظ، ومن هنا تبنى الحركة العلمية والنهضة الإصلاحية في المنطقة[5].

---

(1) عبد الرحمان بن عمر بكلي: المصدر السابق، 103.

(2) إبراهيم بحاز، وآخرون:المرجع السابق، مج 2، ص 54.

(3) محمد علي دبوز:**أعلام الإصلاح في الجزائر(1340-1395هـ / 1921- 1975م)** ، ج1، مطبعة البعث، ط1،قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م، ص 83.

(4) محمد صالح بن ناصر:**الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، ، مكتبة الريام، ط1، الجزائر، 2005م، ص 52.

(5)إبراهيم بحاز، وآخرون: المرجع السابق، مج 1، ص 37.

وفي سنة 1922م دخل عضوا في حلقة العزابة، والذي ما أفتى أن عين شيخا للتدريس والوعظ بالمسجد، ويظهر دوره التعليمي الكبير من خلال تأسيسه للمعهد في سنة 1925م للتعليم الثانوي(سبق ذكره فيما يخص تأسيسه وتنظيماته)، ويتولى الشيخ بيوض أغلب الدروس في المعهد بأسلوبه العالي في افتتاح دروس الحديث في فتح الباري، شرح صحيح البخاري، والدي تحضره جميع فئات المجتمع بالمسجد، إضافة إلى دروس التفسير، وبعد اختتام هذه الدروس يقام حفل كبير بحضور العلماء من أنحاء الوطن[1].

وفي سنة 1931م شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والذي أنتخب عضوا فيها، ونظر لدوره التعليمي والإصلاحي أسندت إليه رئاسة حلقة العزابة وذلك في سنة 1939م وظل في هذا المنصب إلى جانب مهامه الأخرى ذات الطابع التعليمي والاجتماعي والتربوي، حتى أصبح بعد الاستقلال رئيسا لمجلس عمي سعيد وظل كذلك إلى غاية وفاته في 08 ربيع الأول 1401هـ / جانفي 1981م[2].

(1) إبراهيم بحاز وآخرون: المرجع السابق، مج 1، ص 38.

(2) محمد صالح بن ناصر: **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما** ،المرجع السابق، مج 1،ص 16.

المبحث الثاني: التعليم العربي الحر عند المالكية

أولا: حالة التعليم العربي الحر قبل قدوم الشيخ الفيلالي

لقد عانت مراكز التعليم المالكية (المساجد والكتاتيب) من الحصار والتضييق، وذلك بعد دخول الفرنسيين، على عكس مساجد وأوقاف الإباضية، وذلك بموجب معاهدة 1853م، هذا الأمر الذي ولد فراغا علميا وفقهيا عند المالكية[1]، فلقد كان المجتمع المالكي يعاني ركود فكري نتيجة لسيطرة بعض مقادم الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا،حيث كانوا يرون أن كل فكر إصلاحي مخالف لهم هو معادي لأولياء الله الصالحين، ولم يكن لأئمة المساجد دور كبير ما عدا بعض الدروس و الصلاة والانصراف إلى أشغالهم[2].

فلقد كان التعليم محصور في تعليم القرآن الكريم، وبعض حلقات الفقه، ومع تراجع دور المدارس المالكية التقليدية سارع بعض أعيان المالكية إلى استقدام علماء من منطقة الجريد مثل الشيخ لعروسي محمد الجموعي، والشيخ محمد صالح بوزيدي الذي شرع في تدريس علوم الدين واللغة في المسجد العتيق بغرداية، والذي كان مقصد للناس من أجل التعلم وإفتائهم في أمور دينهم ودنياهم [3].

وعلى الرغم من هذا فلا يمكن أن ننسى الدور الكبير الذي قام به الشيوخ المحليون من معلمين وأئمة في محاضر القرآن وحلقات الفقه، والذين حملوا على عاتقهم تلقين القرآن الكريم للناشئة، ووقفهم كحاجز منيع في وجه حملات التنصير في المنطقة[4].

---

[1] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص75.

[2] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 68.

[3] المرجع نفسه،.ص 68.

[4] عبد الحميد بن ولهة:المرجع السابق، ص 69.

وكان لقضية الأذان المالكي[1] من خلال الدور الكبير لشيوخ المنطقة وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر زغيدي[2]في هذه القضية، وفي إيقاد روح التعليم عند المالكية، ومن هنا تبرز النهضة العلمية الإصلاحية بقدوم الشيخ محمد الأخضر الفيلالي للمنطقة[3].

ثانيا: أهم مراكز التعليم العربي الحر عند المالكية

أ) مدرسة الشيخ الأخضر الفيلالي الحرة:

كان لقدوم الشيخ محمد الأخضر الفيلالي سنة1359هـ/1940م، دور كبير ومشهود في بعث حركة علمية بالمنطقة، من خلال إنشائه لهذه المدرسة الحرة سنة 1941م، الهادفة لبعث الثقافة

---

[1] تعود هذه القضية إلى بداية الثلاثينات من القرن العشرين، عندما منع أبناء المذهب المالكي بغرداية من الأذان في المسجد العتيق بحي بني مرزوق، بحجة وجود اتفاق بين الطرفين على أن يبقى وادي ميزاب إباضيا خالصا، هذا ما نفته الجماعة المالكية في حينه، وقرر أبناء المالكية بغرداية إرسال وفد إلى العاصمة لشرح قضيتهم للعلماء، ويتكون الوفد من (عبد القادر زغيدي، الطيب بن على بوعبدلي، إسماعيل بن زيان بوحميدة)، وشرحوا لهم الوضع، فنصحهم الشيخ عبد الحميد بن باديس بالتوجه إلى المفتي الحنفي في العاصمة (محمد العاصمي)، كما التقى هذا الوفد بالعلامة أبو يعلى الزواوي، الذي وجدوا منه كل الدعم والتأييد، وكذا الشيخ الطيب العقبي الذي قام بنشر مشكلتهم على جريدة الإصلاح، وبعد فشل الشيخ عبد الحميد بن باديس في إقناع الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش قرر أن يكتب مقالا طلب فيه السماح للمالكية بالآذان، وبعد قرابة شهر استطاع الشيخ عبد القادر زغيدي أن يتصل بالشيخ محمد العاصمي، هذا الأخير الذي استطاع إقناع الحاكم العام بالترخيص للمالكية بالأذان في غرداية. أنظر، عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص ص 48ـــ52.

[2] هو الحاج عبد القادر بن إبراهيم زغيدي من مواليد 1892م بغرداية، باشر تعليمه تحت إشراف مشائخ أجلاء من بينهم الشيخ الجمعي العروسي، قبل أن يسافر إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة ، ولكن أحواله المادية لم تسمح له بالمكوث بتونس طويلا، فعاد إلى غرداية وتابع دراسته ومراسلة بعض المشائخ في الوطن العربي والإسلامي، وفي بداية الثلاثينيات من القرن الماضي تكفل بالدفاع عن حق المالكية في رفع الأذان بالمسجد العتيق، وكان له ذلك- كما ذكرنا من قبل - ولقد برز علمه وثقافته من خلال المواضيع التي كان يكتبها في جريدة المنار المصرية، وذلك من سنة 1926م إلى غاية الستينات من القرن الماضي، كما كانت له مخطوطات في الفقه المالكي، ولقد أوكلت له بعد الاستقلال مهمة القضاء لكنه طلب الإعفاء منها، وفي الستينات من القرن الماضي تفرغ لإلقاء الدروس في المسجد إلى أن وافته المنية في سنة 1973م رحمة الله عليه. أنظر: عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص ص 68-69.

[3] عبد الحليم بيشي: المرجع السابق، ص68.

الإسلامية، والروح الوطنية عند الطلاب، كما هو هدف مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أنحاء الوطن[1].

وكان التعليم في هذه المدرسة يعتمد على مسجدين أساسيين هما "مسجد خالد بن الوليد"[2]، أو مسجد الحفرة كما يسمى للدروس في فصل الشتاء، وذلك لقرب الطلبة من ديارهم في غرداية، وفي فصل الصيف، وبداية الخريف تكون الدراسة في المسجد العتيق[3] بضاية بن ضحوة، وذلك لتواجد بساتين الطلبة في بلدة الضاية[4]، فلقد قام الشيخ الفيلالي بتقسيم الطلبة إلى ثلاث حلقات علمية بثلاث مستويات(الصغار، الكبار، المتوسطين)، يدرسهم علوم اللغة العربية وقواعدها، وأما عن الكتب التي كانت تدرس في اللغة وقواعدها نجد (الأجرومية، قطر الندى وبل الصدى، ألفية بن

---

(1) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 73.

(2) يقع مسجد خالد بن الوليد أو مسجد الحفرة كما يشتهر في غرداية في الناحية الغربية لمدينة غرداية، مجاورا للمسجد الكبير الإباضية ومدرسة الإصلاح وبالقرب من سوق غرداية، وبموقعه المطل على الأحياء الحديثة جعله مقصدا للناس لأداء الصلوات، ومناقشة الشؤون الدينية و الاجتماعية، إضافة إلى حيازة العلم والوطنية، فلقد احتضن هذا المسجد حركة علمية من خلال علمائه الذين مروا به وتركوا بصماتهم، ومن بين أهم علماء هذا المسجد نجد بوحميدة زيان بن إسماعيل، بوحميدة إسماعيل بن زيان، محمد الأخضر الفيلالي، بوحميدة محمد بن عمر، فالحركة العلمية التي احتضنها هذا المسجد وعلمائه جزء من النشاط العلمي لدى المالكية في مقاومة الجهل والتنصير والاحتلال، رغم محاولات التضييق من طرف الاستعمار. أنظر: أحمد أولاد سعيد، **علماء مسجد خالد بن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية**، مجلة الواحات، ع 5، المطبعة العربية، 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، 1430هـ /2009م، ص ص 93-94.

(3) والذي أسس في سنة 1307هـ / 1890م، من طرف خير الدين بلخضر بوحفص إثر اتفاق بينه وبين سكان الضاية، وذلك كرد فعل على بناء كنيسة في البلدة، وازداد تخوف سكان البلدة من المبشرين الذين قاموا ببث أفكارهم التبشيرية مستغلين حالة الفقر لكثير من الناس، وبذلك تكاتفت الجهود في تشييد المسجد، واستقدام إمام من تلمسان " الطالب محمد المغربي"، والذي قام بتعليم القرآن الكريم والحديث والفقه. هذا المسجد الذي كان فيما بعد منارة علمية من خلال دور الشيخ الفيلالي التعليمي، مقابلة مع بوحفص بوحفص، بمنزله، يوم الأربعاء، 2011/04/13م، على الساعة 14:30إلى 16:00، أنظر:فتيحة كرم، وأخريات: **الحركة الإصلاحية في منطقة غرداية (1882-1962)**، مذكرة تخرج ليسانس تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية،1431-1432هـ/ 2010-2011م، ص 55، أنظر، الملحق رقم 04.

(4) مقابلة مع الأخضر الدهمة، بمكتبته بمتليلي، يوم الثلاثاء 21 جانفي 2014م، على الساعة 9:40 إلى10:35.

مالك)، والفقه الإسلامي مثل (ابن عاشر، رسالة أبي زيد القيرواني)، هذا بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم ومراجعته يوميا، كما حدد مواعيد الدراسة بمرتين في اليوم صباحا وبعد الزوال، وكانت له حلقة عامة بعد صلاة العشاء في مسجد خالد بن الوليد في كل ليلة تؤمها الجماهير من أحياء غرداية، يقوم فيها الشيخ الفيلالي بشرح الأحاديث (بلوغ المران في الحديث)، ودروس في الميراث[1].

وبالنسبة للطلبة الغير ساكنين بغرداية (متليلي، القرارة، المنيعة،...)، فقد كان كل أب يضع ابنه عند أحد أقاربه في غرداية، وفي سنة 1942م قام الشيخ الفيلالي بإنشاء نظام داخلي لإقامة هؤلاء الطلبة الوافدين من خارج غرداية، وذلك بجوار مسجد خالد بن الوليد، والذي يعتمد على تبرعات المحسنين، وقد قام الشيخ الفيلالي بتكليف عجوز للعناية بشؤون الطبخ والتنظيف[2].

أما فيما يخص العطلة فقد كانت يوم الجمعة، والتي يخرج فيها الطلبة لزيارة أقرباءهم وشراء بعض المقتنيات[3]. أما عن التمويل العام لهذه المدرسة فيتم عن طريق كبار تجار المالكية والمحسنين بالمنطقة من أمثال: عائلة زرباني، عائلة بن خليفة، عائلة لروي، عائلة فيها خير، وعائلة الهيشر، عائلة أقاسم، عائلة الودان. والذين اشتهروا بالتجارة مع بلاد إفريقيا السوداء والذي يطلق عليهم تجار بلاد زندر[4].

ومن بين أهم النشاطات العلمية للمدرسة هو إرسال بعثتين علميتين إلى جامع الزيتونة بتونس تهدف إلى تكوين جيل متعلم يحمل مشعل التعليم والإصلاح في المنطقة:

---

(1) الأخضر الدهمة: **قطوف دانية من آيات قرآنية**، ج2، مطبعة مداد، ط2، غرداية، الجزائر، 2010م، ص 360.

(2) أحمد أولاد سعيد: المرجع السابق، ص 98.

(3) الخضر الدهمة: المقابلة السابقة.

(4) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 74.

-البعثة الأولي في أكتوبر 1946م والمتكونة من (لحضر الدهمة، عبد السلام مولاي لخضر، محمد بن أحمد محجوب "سي دحمان" والتي قادها الشيخ الفيلالي بنفسه إلى تونس[1].

- البعثة الثانية في جانفي 1947م والمتكونة من (مولاي عمار إبراهيم، محمد قباني،موسى بن كريد، عبد الله زرباني، محمد بن عمر بوحميدة، جيلالي حشاني)[2].

ولم تكن هذه المدرسة على غرار المدارس الأخرى في القطر الوطني في منأى عن المضايقات من طرف السلطات الاستعمارية، وذلك بإيعاز من عملائها من جهة ومعارض الإصلاح من جهة أخرى، فلقد قامت بنفي شيخ المدرسة" الأخضر الفيلالي" نهائيا من منطقة غرداية[3].

ب) المسجد المالكي العتيق بغرداية ودوره التعليمي:

يقع المسجد العتيق في حي بني مرزوق بغرداية، وسمي عتيقا لأنه أسس بعد عدة محاولات، وكان أول مسجد مالكي بالمنطقة، ويذكر الشيخ البوعبدلي الحاج الطيب بن علي أن جده الحاج محمد بن سعيد كان قد فتح حجرة لتعليم القرآن الكريم، ولكنها فشلت لأسباب لم يذكرها، وكان للحاج محمد الزياني دور في توسعة المسجد وأوقفه على جماعة المسلمين، وبعدها تكاثفت جهود أهل البر والإحسان في تطوير بنائه خاصة في القرن الماضي إلى أن أصبح كما هو عليه الآن، ويضيف الشيخ البوعبدلي قائلا" أثناء إعادة بناء المسجد كنا حينها طلابا ندرس على الشيخ الإمام بالغيث الحاج مسعود بن عبد القادر الزيغمي، وكنا نساعده بما نستطيع من عمل"، ومن أبرز الأئمة الدين تعاقبوا على كان لهم دور التعليم والوعظ والإرشاد نذكر: الشريف سيدي مولاي بوعشة، والشيخ

---

[1] الأخضر الدهمة:المقابلة السابقة.

[2] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 74.

[3] عن حياة ودور الشيخ الفيلالي التعليمي وحادثة نفيه أنظر،العنصر الثالث، في تعريف بالشيخ الأخضر الفيلالي ودوره التعليمي، ص ص 64-67.

الفقيه بالغيث الحاج مسعود بن عبد القادر الزيغمي، والشيخ سعد الحاج قدور بن سعد، والشيخ سيدي بن عروس محمد الجموعي الذي أستقدم من منطقة نفطة التونسية[1].

ونذكر أيضا الشيخ محمد الصالح بوزيدي خريج جامعة الزيتونة، من منطقة الجريد التونسية، والذي استقدمه عمه الحاج إبراهيم الساكن بغرداية والذي كانت له دروس وحلقات تعليم في اللغة و الفقه بالمسجد[2].

ثالثا: أهم رواد التعليم العربي الحر عند المالكية

لقد كان لمشايخ التعليم المالكية في المساجد والمدارس القرآنية بمسجد خالد بن الوليد خصوصا، وفي غرداية بصفة عامة، دور كبير في بعث النشاط التعليمي وتطويره ومن أبرز هؤلاء المشائخ نذكر:

أ) محمد الأخضر الفيلالي ودوره التعليمي:

هو الشيخ الأخضر الفيلالي المولود في سنة 1324هـ / 1906م، بخنقة سيدي ناجي، دائرة طولقة، ولاية بسكرة،تلقى تعليمه الابتدائي وحفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، وبعدها انخرط في زاوية سيدي عقبة الشهيرة، وأكمل دراسته بين سنتي 1926و 1930م، وبعدها انتقل إلى مدينة قسنطينة وتتلمذ على يد العالم الجليل عبد الحميد بن باديس وغيره من العلماء، وبعدها التحق بجامع الزيتونة، والذي تحصل منه على شهادة العالمية - أرقى الشهادات في ذلك الوقت -وبعد تخرجه عمل على التنقل بين مدن الشمال كمدرسا للقرآن الكريم، والحديث، والفقه[3].

---

[1] فتيحة كرم وأخريات: المرجع السابق ص 55، أنظر الملحق رقم03 .

[2] مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، بمكتبته بمتليلي، يوم الثلاثاء 21 جانفي 2014م، على الساعة 9:40 إلى10:35.

[3] مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى:**أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2007م، ص 195 - 196.

وبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1931م، انضم إليها مساهما مساهمة كبيرة رفقة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إصلاح المجتمع، هذا الأمر الذي تفطن له الاستعمار الفرنسي فقام بالقبض على الكثير من أعضاء الجمعية، ونفي البعض الآخر، من بينهم الشيخ الأخضر الفيلالي و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي اللذين نفيا إلى مدينة آفلو[1].

وشاء الله أن يلتقي الشيخان بوبكر زرباني[2]، وعمراني علي بن عيسى بالشيخ الفيلالي والشيخ الإبراهيمي، وبتلك المناسبة طلبا منهما باسم الجماعة أن يُعَين لهم شيخا من مشايخ الجمعية في غرداية للاستفادة من علمه، فوجد الشيخ الإبراهيمي الفرصة ليقترح على الشيخ الأخضر الفيلالي أن يلبي طلب الجماعة، ورغبه في ذلك فكان منه القبول.[3]

وبعدما قبل اصطحبه السيد أبو بكر زرباني معه إلى غرداية، ولقد لُقي بالترحيب من قبل المواطنين، فلقد كان الشيخ الفيلالي يعيش عند عائلة زرباني في بادئ الأمر[4] ، و لم يلبث الشيخ أن كون مدرسة حرة والتي سبق ذكرها فكان في كل حلقاته يكون طلبته تكوينا سياسيا، ويزرع في تلامذته كراهية الاستعمار، وكان دائما ما يؤكد لطلبته إن العدو الحقيقي للمسلمين ليس بعضهم لبعض مهما اختلفت طوائفهم ومذاهبهم وإنما هو الاحتلال الفرنسي الذي يسعي إلى تفريق بين أبناء المسلمين[5].

---

(1) مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى:المرجع السابق، ص 196.

(2) هو الشيخ أبو بكر بن مرزوق زرباني، من مواليد سنة 1889م بغرداية، تعلم القرآن الكريم في مسجد خالد بن الوليد، ولقد كان رجل ذا تجارة، فكان يتاجر بين غرداية ومدينة آفلوا، والذي التقى بالشيخ محمد الأخضر الفيلالي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكان سببا في قدوم الفيلالي إلى غرداية، ونتيجة لدوره السياسي سجن ستة أشهر وذلك في سنة 1944م، أنظر: عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 73.

(3) الأخضر الدهمة: المرجع السابق، ص 360.

(4) الأخضر الدهمة: المقابلة السابقة.

(5) الأخضر الدهمة: المرجع السابق، ص 361.

وكان في دروسه ينهي أولياء البنات الذين يرسلون بناتهم إلى مدارس "الأخوات البيض"للتعلم خوفا من تنصيرهم[1]. هذا الأمر الذي جعل الحاكم العام يقوم بمراقبة دروس الشيخ من خلال بث بعض الجواسيس. فقد أصدر الحاكم العسكري قرار نفي الشيخ الفيلالي إلى الجزائر سنة 1946م، والتي دامت شهرين، وبعدها عاد إلى المنطقة إثر تدخل أعيان المالكية لدى الحاكم العام[2].

وفي المرة الثانية تم نفيه نهائيا إلى جبال القبائل بتهمة دعمه لتهريب السلاح من ليبيا إلى الجزائر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، قد واصل في التعليم والإصلاح،إلى أن استقر كإمام خطيب بمسجد مدينة بوقرة بسهل متيجة في ولاية البليدة، ولقد واصل الشيخ عمله في نشر العلم بعد استرجاع السيادة الوطنية إلى أن وافته المنية في 11أكتوبر 1977م[3].

وبنفي الشيخ الفيلالي لم تمت مسيرة التعليم والإصلاح بالمنطقة فلقد خلف الشيخ مجموعة من تلامذته الذين حملوا المشعل من أمثال: الشيخ الأخضر الدهمة، محمد بن عمر بوحميدة، إبراهيم بوحميدة، عبد السلام مولاي لخضر... وغيرهم كثير[4].

ب) مشايخ عائلة بوحميدة ودوهم التعليمي: لقد كان لعائلة بوحميدة دور كبير في نشر التعليم من خلال أعلامها ومشايخها، ومن أهم أعلام هذه الأسرة:

1) الشيخ بوحميدة زيان بن الحاج إسماعيل: هو الشيخ بوحميدة زيان بن الحاج إسماعيل المولود في سنة1287هـ/1870م، كان أبوه إسماعيل الأكبر (1803-1901م) خريج الجامع الأزهر ومدينة

---

(1) الأخضر الدهمة:المقابلة السابقة.

(2) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، 75.

(3) مسعود كواتي، محمد الشريف سيدي موسى: المرجع السابق، ص 197.

(4) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 75.

فاس، وإمام للناس في الضاية وما جاورها، وبعد وفاة والده أكملت أمه وأقاربه رعايته، فقد كان كثير المطاعة شغوفا بالعلم، فلم يمنعه وفاة والده المبكرة من الاستفادة منه، وهذا ما يتضح من خلال مهارته فيما بعد في شتى العلوم[1].

كان الشيخ زيان معلم في بداية الأمر، ثم انصرف إلى الإمامة والوعظ والإرشاد، فقد كان ينتقل بين ضاية بن ضحوة و غرداية في مسجد خالد بن الوليد بالحفرة للتعليم والإمامة[2]، وإضافة إلى جهود الحاج زيان التعليمية كان له دور في محاربة التنصير في البلدة، فقد كان في كل مرة يفشل خطط الرهبان في تنصير الشباب وذلك بفضل ذكائه الشديد[3]، واشتهر الحاج زيان بسخائه خاصة عندما يتعلق الأمر بتكريم حفظة القرآن الكريم، ولقد داوم على هذه الأعمال من تعليم ووعظ وإرشاد إلى أن وافته المنية في 09 محرم1358ه/ فيفري 1939م[4]. رحمه الله.

2) إسماعيل بن زيان بوحميدة: ولد الشيخ إسماعيل بن زيان بوحميدة في سنة 1319هـ / 1901م بضاية بن ضحوة، وأخذ مبادئ العلوم الأولى على يد والده الفقيه بن زيان، ثم تابع رحلته العلمية في مدينة نفطة بتونس لتعلم المزيد من علوم الفقه واللغة وسائر العلوم المتاحة، ولقد سهل مهمته في ذلك تواجد الإمام محمد الصالح بوزيدي في تونس، وبعد رجوعه إلى مدينة غرداية شرع في تعليم القرآن الكريم في مسجد خالد بن الوليد بطريقة فعالة، والتي صار بها شيخ القراء في ذلك الوقت بدون

---

(1) أحمد أولاد سعيد: المرجع السابق، ص 95.

(2) شهادة خطية: **مختصر عن حياة الشيخ زيان بن الحاج إسماعيل** سلمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة بوحميدة حفيد ، في 09مارس2014م. أنظر: الملحق رقم 1 .

(3) إبراهيم بوحميدة:**ضاية بن ضحوة تاريخيا، قبل وأثناء ثورة 1954م**، ضاية بن ضحوة،ط1، غرداية، 2010م.

(4) أحمد أولاد سعيد: المرجع السابق، ص 95.

منازع، هذا بالإضافة إلى ذاكرته الحافظة العجيبة و صوته الجوهري الذي كان يؤثر في السامعين، ولقد عُرف الحاج إسماعيل بن زيان بمواقفه الصلبة في مواجهة المبشرين الفرنسيين، فلما طلب من السلطات الفرنسية أخذ ترخيص لمزاولة التعليم سلمت له رخصة في سنة 1952م، والتي تسمح له بتدريس القرآن الكريم، وتشدد وتمنع عليه دروس التاريخ والجغرافيا[1].وفي الفترة ما بين سنة 1960و سنة 1962م كلف من طرف جبهة التحرير بمهمة الإمامة في مسجد خالد بن الوليد، والذي كان تحت إشراف المجلس البلدي للثورة، وظل كذلك إلى غاية وفاته في 2614 جمادى الثانية 1392هـ/جويلية 1972م[2]. رحمه الله برحمته الواسعة

3) محمد بن عمر بوحميدة: ولد الإمام محمد بن عمر بوحميدة بن سليمان خلال سنة 1333هـ / 1914م بغرداية، أما أمه فهي فاطمة بنت زيان بن الحاج إسماعيل[3].

كان أول تعلمه على يد جده زيان بن الحاج إسماعيل، كما تعلم القرآن وحفظه على يد خاله إسماعيل بن زيان بوحميدة، الذي كان هو الآخر معلما للقرآن الكريم في مسجد خالد بن الوليد، وزاول محمد بن عمر دراسة اللغة الفرنسية في مدرسة الآباء البيض فصار يتقنها أينما إتقان، ثم تلقى دروس اللغة العربية (قواعد، صرف، بلاغة، علوم الآداب) على يد الشيخ الأخضر الفيلالي، هذا الأخير الذي كان دائما يشيد بمحمد بن عمر بوحميدة بتفوقه على سواه، وبذكائه الخارق[4].

---

[1] عن هذا الترخيص أنظر: الملحق رقم02 .

[2] أحمد أولاد سعيد:المرجع السابق، 97.

[3] شهادة خطية: **مختصر عن حياة الشيخ محمد بن عمر بوحميدة** ، قدمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة، ، غرداية في يوم 2014/03/02م.

[4] الشهادة نفسها.

ونتيجة لتفوقه أصبح مساعد للشيخ الفيلالي في دروسه العامة، فكان سي محمد يقرأ النص من الكتاب الفقهي، ويقوم الشيخ بالشرح على طريقة الأئمة الكبار[1].

ولقد اقترح الشيخ الفيلالي على مكتب جمعية العلماء المسلمين فرع الجزائر العاصمة سنة 1946م أن يكون محمد بن عمر معلما بمسجد خالد بن الوليد، وتمت الموافقة عليه بصفة رسمية، ومنذ تسلمه المهمة أقبل محمد بن عمر على التعليم في هذا المسجد، و اقترح الشيخ الفيلالي كذلك على لجنة المسجد بأن يكون محمد بن عمر إماما خطيبا لما رأى فيه من كفاءة وإخلاص، وهذا ما تم بالفعل، فصار المسجد قبلة للكثير من الناس، نظرا لفصاحته وبلاغته، وخُطبه المناهضة للاستعمار، إضافة إلى محاربته لحملات التنصير الذي كان يقودها الآباء البيض مستغلين الظروف المعيشية للسكان[2].

ونظر لخطبه الناهضة للاستعمار قامت السلطات برد الفعل اتجاهه ، ففي صلاة الجمعة من سنة 1952م اقتحم جند العدو المسجد وأخذوا الشيخ محمد بن عمر عنوة، إلا أن ضابطهم اضطر إلى إطلاق سراحه فيما بعد خوف من هجوم المتظاهرين الذين احتشدوا أمام مكتب القائد العسكري المحلي[3]. ولقد كان الشيخ محمد بن عمر مناضل بارزا في حزب الشعب، ثم حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وبعدها انخرط في جبهة التحرير الوطني، هذا ما جعل السلطات تعتقله مرة أخرى في سنة 1957م،وحكم عليه بسنتين سجن، وليتم بعدها نفيه من غرداية بصفة مؤبدة، والذي استقر بعدها في بلدية براقي بالعاصمة، وبعد الاستقلال كان له دور في تحويل كنيسة براقي إلى

---

[1] أحمد أولاد سعيد: المرجع السابق، ص 101.

[2] الشهادة الخطية السابقة: **مختصر عن حياة الشيخ محمد بن عمر بوحميدة.**

[3] إبراهيم بوحميدة: المرجع السابق، ص 16.

مسجد للمصلين، بعدما كانوا يصلون في مستودع بينما الكنيسة مهجورة ثم عين مفتشا جهويا للشؤون الدينية والأوقاف بالبليدة[1]، توفي الشيخ محمد بن عمر بوحميدة في يوم 14 رمضان1364هـ/ 17جانفي 1965م حادث مرور عندما كان متوجها رفقة وفد وزاري إلى ولاية الأغواط لتدشين معهد، وبعدها نحو مدينة غرداية لمعاينة مساجدها المالكية، وتسوية وضعية أئمتها، ولقد دفن مقبرة أولاد بوحميدة بغرداية[2].

ج) الأخضر الدهمة ودوره التعليمي:

هو الأخضر بن قويدر الدهمة، من مواليد سنة1344هـ/1925م، في متليلي الشعانبة[3]، حفظ شيئا من القرآن الكريم على يد الشيخ علي بن ديبة، وبعد تغير سكناه وانتقاله إلى حي السبخة بمتليلي، تعلم القرآن الكريم وختمه على يد الطالب محمد كديد، وقام بتكراره عليه أربعة مرات في اللوحة[4].

ثم انتقل عام 1942م مع بعض زملائه من متليلي، إلى مدينة غرداية لتلقي علوم اللغة العربية، والفقه الإسلامي على يد الشيخ محمد الأخضر الفيلالي، وفي هذه الفترة كان حوالي اثنا عشر تلميذ من متليلي[5]، وتحقيقا لرغبة الشيخ الفيلالي انتقل الأخضر الدهمة في البعثة الأولى إلى جامع الزيتونة في سنة 1946م، وفي أثناء العطلة الصيفية من السنة الدراسية 1946ـ 1947م، وجه الحاكم العام

---

[1] أحمد أولاد سعيد: المرجع السابق، ص 103.

[2] الشهادة الخطية السابقة: **مختصر عن حياة الشيخ محمد بن عمر بوحميدة.**

[3] الأخضر الدهمة: المرجع السابق، ص 359.

[4] الأخضر الدهمة: المقابلة السابقة.

[5] المقابلة نفسها..

الفرنسي بغرداية إنذارا شديد لأولياء الطلبة الدين يرسلون أبناءهم للتعلم في جامع الزيتونة، فرفض والده قويدر هذا الأمر، وقال بأنه مستعد لإفناء كل ما يملك في سبيل تعليم ابنه، هذا ما جعل الحاكم الفرنسي بغرداية يحيك مؤامرة ضده، وقام بإحراق محله التجاري، فبهذا الحادث أصبح فقيرا عاجزا عن تحصيل قوت عياله، وفي آخر السنة الدراسية 1949- 1950م قرر الأخضر الدهمة الانقطاع عن الدراسة، نتيجة للظروف المادية الغير كافية، بعد أن نال مستوى التحصيل في الزيتونة[1].

وقبل عودته إلى الوطن ذهب لتوديع أحد مشايخه وهو الشيخ الطاهر الغمراسني، الذي نصحه بأن يباشر التعليم ونشر الوعي الوطني الإسلامي، وهذا ما قام به الشيخ بالفعل بعد عودته، فقد باشر الشيخ الأخضر بالتدريس في مدرسة بمدينة عين بسام بولاية البويرة، وذلك سنة 1950م، وظل يدرس بها إلى أن تم إغلاقها من طرف السلطات الفرنسية في سنة 1957م[2].

وبعد عودته إلى غرداية سارعت إليه بعض الجمعيات للتعاقد معه، فتعاون مع جمعية التابعة لمسجد حمزة بن عبد المطلب، فقد قام الشيخ الدهمة رفقة زميله محمد قباني بالمسجد والمدرسة أحسن قيام، مما نتج عنه نهضة علمية وإصلاحية، رغم تشديد الرقابة الفرنسية على المسجد والمدرسة، والتي كانت تري في هؤلاء المشايخ المتخرجين من جامع الزيتونة الخطر نتيجة للوعي القومي الذي يحملونه معهم[3].

وبعد الاستقلال زاوج الشيخ بين عمله في مؤسسات التعليم بتعليمه اللغة العربية، والتاريخ، وبين دروس الوعظ والإرشاد من الفقه الإسلامي، وتفسير القرآن الكريم، وشرح الحديث الشريف، كما

---

[1] الأخضر الدهمة: المرجع السابق، ص ص 362ـ 364.

[2] المرجع نفسه، ص 366.

[3] الأخضر الدهمة:المقابلة السابقة.

أسندت إليه دروس الجمعة في المسجد العتيق بمتليلي، وبعض المساجد الأخرى، كما شرع في تفسير القرآن الكريم، والتي فيما بعد طبعت في كتب من أهمها "قطوف دانية من آيات قرآنية"[4]. حفظه الله

ومن خلال هذا الفصل يمكن القول بأن التعليم الحر عند الإباضية كان يعتمد في بداية الأمر على المدارس القرآنية، وبعدها تطور إلى معاهد مثل معهد الحياة بالقرارة، ومدارس حرة عصرية مثل مدرسة الإصلاح بغرداية، ومدرسة النهضة بالعطف، ومدرسة النور ببنورة، ومدرسة الفتح ببريان،ومن أهم رواد التعليم الذين كان لهم الدور البارز عند الإباضية نذكر:محمد بن يوسف أطفيش، والذي تخرج على يده العديد من التلاميذ من بينهم الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، وإبراهيم بيوض، الذين كان لهما دور كبير في التعليم والإصلاح.

أما عن التعليم عند المالكية فكان يعتمد هو الآخر على المساجد والكتاتيب، وكان التعليم يعتمد على الشيوخ المحليين، إضافة إلى استقدام بعض المشايخ من تونس على سبيل المثال، وبعد مجيء الشيخ الفيلالي إلى المنطقة دور في بعث التعليم الحر من جديد من خلال فتحه لمدرسة حرة، وإرسال البعثات إلى جامع الزيتونة، فتخرج على يده العديد من التلاميذ الدين رفعوا لواء التعليم من بعده أمثال محمد بن عمر بوحميدة، الأخضر الدهمة...

هذا ويجب إن لا ننسى الدور الذي قام به الشيوخ المحليين في تعليم الأجيال للقرآن الكريم،في منطقة غرداية عامة ومدينة متليلي خصوصا، ومن بين هؤلاء الشيوخ الدين حملوا على عاتقهم مسؤولية تعليم القرآن الشيخ علي بن دية، والذي اخترناه كنموذج ندرسه في الفصل الثالث من هذا البحث.

---

[4] الأخضر الدهمة: المرجع السابق، ص ص371 -ـ372.

الفصل الثالث

الشيخ علي بن ديبة ودوره التعليمي

(1892- 1987م)

المبحث الأول: مولده ونشأته وتعلمه

المبحث الثاني: الشيخ علي ودوره التعليمي والاجتماعي

المبحث الثالث: وفاته وآثاره

المبحث الأول: مولده ونشأته وتعلمه

أولا: مولده ونشأته

هو أبو الطيب علي بن مبارك بن أمحمد بن دية[1]، من عرش أولاد عبد القادر فرقة أولاد حنيش[2]، ولد خلال سنة 1310هـ /1892م[3]، بالقصر القديم بمتليلي الشعانبة، وهو من أسرة محافظة وميسورة الحال، كان أبوه مبارك بن محمد يشتغل بالفلاحة، أما أمه فهي حدة بنت الشفوتي، وكان الشيخ علي أوسط إخوته في الأسرة المتكونة من (أحمد، علي، بوجمعة، مبروكة، خيرة، فاطمة)،أما عن محل إقامتهم فكان بجوار المسجد بالقصر القديم، فلقد كان للطالب علي مند صغره ميول لحب القرآن، والرغبة في حفظه، على عكس أخوته الذين توجهوا للفلاحة لكسب القوت وتلبية حاجيات الأسرة، رغم هذا فلقد كان لإخوته دور في تشجيعه وتحفيزه على حفظ القرآن، وخاصة من أمه التي كانت لها عناية خاصة به لما رأت فيه من الذكاء وحبه الشديد لحفظ القرآن الكريم[4].

---

(1) أنظر: الملحق رقم09 .

(2) وهي فرقة من عرش أولاد عبد القادر، الذين توافدوا إلى المنطقة خلال القرنيين 12 و13م، أي في القرنيين الأولين لاستقرار أول مجموعة من أبناء الشعانبة بمتليلي، أنظر: عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص 32.

(3) لقد سجل في الحالة المدنية خلال سنة1892م، والحقيقة أنه مولود قبل هذا التاريخ، أنظر: عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص 70.

(4) مقابلة مع عبد الله بن دية، نجل وأحد تلاميذ الطالب علي رحمه الله، في منزله بمتليلي، يوم الاثنين05 / 05/ 2014م، على الساعة 17:20إلى 18:30 مساءا.

ثانيا: تعلمه وأهم مشايخه:

بدأ الشيخ علي تعلمه القرآن الكريم عند الشيخ مولاي محمد بن عبد الرحمان[1]، الذي يعتبر أول شيخ له وذلك بمنطقة القصر القديم بالمسجد العتيق[2]، بحيث تعلم مبادئ القرآن وبعض الأحزاب من القرآن الكريم، ولقد كان هذا الشيخ من الأتقياء الورعين الذين نذروا أنفسهم للقرآن وأهله، وكان الشيخ مولاي عبد الرحمان يشيد دائما بذكاء وفطنة وقوة الشيخ علي على الحفظ وإتقانه للكتابة، فقد كان الشيخ مولاي محمد يقدمه على سائر تلامذته، هذا ماجعل الشيخ علي يتعلق به كثيرا، فلقد كان وفي كثير من الأحيان بعد خروجه من المدرسة القرآنية يذهب لمساعدة الجزارين، وعندما يعطونه نصيبه من اللحم، يقوم بطهيه وأخذه إلى شيخه مولاي محمد بن عبد الرحمان في مترله بالسوارق[3].ومن بين أهم التلاميذ الذين استطاع الطالب عبد الله تذكرهم، والذين كانوا رفقة الشيخ علي يزاولون معه الدراسة عند هذا الشيخ (سي قدور بالمصطفى، سي محمد بالمصطفى، سي مصطفى)[4]. وبعد حفظه ماتيسر من القرآن الكريم انتقل إلى مدرسة الشيخ محمد عبد الله السوسي المغربي[5]

---

[1] وهو محمد مولاي عبد الرحمان من نسب شريف،كان معلم قرآن وإمام بالمسجد العتيق بمتليلي. عبد الله بن ديبة: المقابلة السابقة.

[2] أسس هذا المسجد في سنة 550ه/1156م، ويعتبر منارة علمية للبلدة من خلال دوره التعليمي والإصلاحي والثوري، وذلك بفضل المشايخ الذين تداولوا عليه من أمثال مشايخ عائلة بوكادي، والشريف بكار، أنظر:عبد الحميد بن ولهة، المرجع السابق، ص ص20، 70، أنظر: الملحق رقم05 .

[3] مقابلة مع قدور مولاي عبد الله، أحد تلاميذ الطالب علي، في مترله بمتليلي، يوم الجمعة، 2014/05/09م من الساعة 15:10 إلى 15:50. ومقابلة مع السيد مصطفى مصيطفى، أحد تلاميذ الطالب علي، في مترله بمتليلي، يوم السبت 2014/05/10م، على الساعة 09:30 إلى 10:50.

[4] عبد الله بن ديبة: المقابلة السابقة.

[5] هو عبد الله بن محمد السوسي من بلدة حاحا في أغادير بالمغرب، و بعد خلاف مع حاكم تلك المنطقة اضطر إلى الخروج من البلد بنية الحج وعدم الرجوع رفقة مجموعة من أهل بلدته ، دخل عن طريق الصحراء الغربية، ومر عن طريق زاوية الدباغ ثم منطقة تيميمون ثم المنيعة (وهو الطريق الذي يسلكه الحجيج خاصة من منطقة صحراء المغرب)ونزلوا في المنيعة عند بعض أقارب القايد قدور بن خليفة، ولما وصلوا إلى متليلي كان الاستعمار الفرنسي قد احتل المنطقة قبل ذلك بقليل في حوالي 1897م، لأنهم بعد وصولهم طُلب منهم التعريف بأنفسهم في المكتب الفرنسي، وبعد ذلك أقاموا عند سي الطيب بلحاج، وكان الناس يقصدونه وطلبوا منه إن هو وجد لهم من يعلمهم القرآن الكريم، فسأله سي الطيب بالحاج أن يبقى في البلدة لتدريس القرآن الكريم،

بحي السوارق بمتليلي رفقة الطالب محمد كديد[1]، ومولاي إبراهيم حمي بن سي قدور، هذا الأخير الذي كان يرافق الشيخ علي ويقوم بتكرار القرآن الكريم معه في المسجد العتيق، وفي هذا يقول الطالب عبد الله " يذكر لنا الوالد الشيخ علي رحمه الله أنه كان في كل يوم أثناء ذهابه إلى المسجد يمر بمنزل مولاي إبراهيم فيقوم بدق الجدار بحجر كإشارة ليوقظ زميله حمي بن سي قدور للذهاب إلى المسجد، وذلك قبل الفجر لتداول ما حفظوه من القرآن وتكراره، وكان هذا دأبهم يوميا"، ولقد أكمل الشيخ علي ختم القرآن الكريم علي يد الشيخ السوسي، ولقد كان يخلف شيخه في تعليم التلاميذ أثناء غيابه في كثير من الأحيان[2]، وبعد ذلك انتقل إلى حلقة الشيخ أحمد بوكادي[3]،وكان ذلك في حوالي سنة1328 هـ/1910م، وأعاد معه ضبط القرآن الكريم، ودرس شيء من الفقه المالكي

=وبعد إلحاحه عليه من أجل البقاء، طلب الشيخ السوسي الاستخارة في الأمر وبعدها قرر البقاء في متليلي، وذهب أصحابه إلى مقصدهم وبعدها التقي بالفاطمي الذي أسس له المسجد الذي باشر فيه تعليمه للقرآن، إلى وفاته سنة1336هـ/1917م، ومن أشهر تلامذته الطالب سليمان الفاطمي، الطالب علي بن دية، الطالب محمد كديد...، مقابلة مع محمد بن دية ، حفيد الطالب علي بالمنزل، يوم الاثنين05/05/ 2014م، على الساعة 17:20 إلى 18:30.

[1] هو محمد بن امحمد كديد من مواليد 1287هـ/1870م، بمتليلي الشعانبة تعلم القرآن الكريم على يد الشيخ محمد عبد اله السوسي بحي السوارق، فلقد كان نابغة في حفظ القرآن الكريم، حيث أتم حفظه في وقت قصير، قبل أن يبدأ بتعليم القرآن للأجيال اللاحقة بغابته بحي السوارق، ثم بزاوية الحاج موسى المقبض، وبعده انتقل إلى المسجد العتيق، حيث تخرج على يده العديد من التلاميذ من أمثال عبد السلام مولاي لخضر، الخضر الدهمة ...، توفي رحمه الله في سنة 1945م، أنظر: عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 70.

[2] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة، وقدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

[3] هو الشيخ احمد بوكادي بن محمد بن عبد القادر جرناجي، نسبة إلى جرناج وهي بلدة بالمغرب ولد حوالي سنة1840م، بأولف، قرأ القرآن الكريم وحفظه على يد أبيه محمد بن عبد القادر الذي كلن آية في الحفظ، ثم درس الفقه المالكي على يد سيدي أحمد العالم، وبعدها انتقل إلى متليلي سنة 1910م، ولقد فتح له بلحاج عيسى عبد القادر مدرسة قرآنية من ملكه الخاص، فكان مشتغلا بالتدريس القرآن وشيء من الفقه، وبعد حوالي عشر سنوات توفي الشيخ أحمد بوكادي في 20ديسمبر 1921م.شهادة خطية (**مختصر عن حياة الشيخ احمد بوكادي**)، سلمت لي من طرف محمد بن دية، يوم الاثنين 2014/05/05م.

على الطالب محمد بن عبد العالي بخيتي[1]، وذلك في فترة متأخرة، ومتزامنة مع تعليم الشيخ علي للقرآن الكريم في بعض المناطق، وكان قبل ذلك قد التحق بركب مريدي الشيخ موسى المقبض المتوفى سنة1927م، وهو من مريدي الطريقة الشيخية[2] بمتليلي في منطقة السوارق، هذا الأخير الذي كان يرسل ويشير على الشيخ علي بالتدريس في مناطق عديدة خارج متليلي(في البادية، ضاية بن ضحوة) ، وداخلها[3].

ولقد درس الشيخ علي رحمه الله الفقه المالكي على يد الشيخ أمحمد بوكادي[4] على الرغم أنه يصغره سنا[5].

---

[1] من مواليد سنة1876م بمدينة أولف بأدرار، تعلم وحفظ القرآن الكريم وعلوم الفقه على يد والده عبد العالي بخيتي ثم على يد عمه الطالب أحمد بن مبارك بخيتي، بعد وفاة والده سنة 1914م خلفه في إمامة مسجد قصبة بلال بأولف، وبعد وفاة الطالب أحمد بوكادي بمتليلي سنة 1921م، قام عمه أحمد بن مبارك باستقدام أبن أخيه محمد بن عبد العالي إلى متليلي في سنة 1924م لتدريس القرآن الكريم والفقه، ولقد عين عضوا في مجلس الإفتاء التابع للمجلس البلدي للثورة عام 1956م، توفي رحمه الله يوم عاشوراء من سنة 1376هـ/16 جويلية 1959م.أنظر: عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 70.

[2] نسبة إلى الشيخ عبد القادر بوسماحة دفين الأبيض سيدي الشيخ المتوفى سنة 1023هـ/1615م، فهو المؤسس الأول للطريقة الشيخية، وتمتد السلسلة الشيخية من سليمان بوسماحة إلى ابنه محمد إلى حفيده سيدي الشيخ عبد القادر، إلى الحاج بوحفص، والحاج عبد الكريم، ومن الفرق الدينية لأولاد الشيخ ما يسمى بالعمامية، نسبة إلى الشيخ بوعمامة، الذي أصبح مقدما للطريقة الصوفية الشيخية في المقرار سنة 1292هـ/1875م، أنظر: عبد العزيز شهبي: المرجع السابق، ص 121.

[3] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[4] هو الطالب محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر ولد سنة 1910م بمدينة أولف، تعلم وحفظ القرآن الكريم علي يد عمه الطالب مختار، وتعلم الفقه المالكي على يد الطالب أحمد بن مبارك بخيتي، وبعدها انتقل إلى مدينة متليلي في سنة 1929م، لخلافة والده، ولقد انظم إلى المجلس البلدي للثورة بمتليلي، وبعد الاستقلال باشر بتدريس الفقه المالكي بالمسجد العتيق، وكان يخصص الفترة ما بين المغرب والعشاء لتدريس الفقه للكبار، توفي رحمه الله في نوفمبر من سنة 1976م. أنظر: عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 70.

[5] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 70.

المبحث الثاني: الشيخ علي بن دية ودوره التعليمي والاجتماعي

أولا: أهم المناطق التي درس فيها

أ) في ضاية بن ضحوة:

كما ذكرنا وأخذا بنصيحة الشيخ موسى المقبض، انتقل الشيخ علي رحمه الله إلى منطقة ضاية بن ضحوة، قصد التعليم، وكان ذلك في حوالي سنة1329هـ/1911م، ودرس هناك إلى بداية العشرينيات من القرن الماضي، تاركا وراءه الطالب الشحمة مدرسا مكانه، وفي هذا يذكر الطالب عبد الله" أنه ذات يوم (في بداية السبعينات من القرن الماضي)ذهبنا إلى غرداية لحضور جنازة لأحد الأقارب، وعندما دخلنا إلى المسجد وجدنا شيخا كبير في السن يصلي صلاة العصر، ولا يحسن الركوع وذلك لعجزه ربما، وبعد أن فرغ هذا الشيخ من الصلاة قام الوالد الشيخ علي بضربه بالعصا ضربة خفيفة، فتعجبت من هذا الفعل، وبعد مدة تأكدت أن هذا الشيخ كان يدرس عنده"[1]

ومن أهم التلاميذ الذين استطاع الطالب عبد الله تذكرهم من الطلبة الذين كانوا يدرسون عند الشيخ علي(أولاد حيمود الحاج بحوص، وأولاد حيمود التومي، وأولاد حيمود الحاج علال، الحشاني عبد الرحمان، والحشاني محمد، وأخوه محمد، وعمير الجيلالي...)[2].

وأثناء تدريس الشيخ علي بالضاية، لاحظ منه أحد الشيوخ (والد الأمام محمد الصالح بوزيدي أو عمه الحاج إبراهيم بوزيدي)[3]، قوة الذكاء وملكة الحفظ طلب منه الذهاب إلى جامع الزيتونة

---

[1] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[2] المقابلة نفسها.

[3] والأرجح عمه الحاج إبراهيم بوزيدي الذي كان يقطن بغرداية، والذي استقدم ابن أخيه الأمام محمد الصالح بوزيدي من منطقة الجريد بالجنوب التونسي للتدريس في المسجد العتيق بغرداية، أنظر: عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، 68.

لتحصيل بقية العلوم، وأشار عليه أن يعينه بالزاد والمؤونة، لكن الشيخ علي إعتدر لقلة اليد، ولوفاة والده في سنة 1336هـ/1917م[1].

ب) في البادية: دائما وبطلب من الشيخ موسى المقبض، كان الشيخ علي يخرج مع أهل البادية خاصة في فصل الربيع، وذلك من أجل تعليمهم القرآن الكريم، وبعض مبادئ الفقه المالكي من الأحكام والفرائض، فكان يُدَرس في دوار "دحاحو"، وذلك بالاتفاق بين الشيخ موسى المقبض، والحاج الدين بن دحوا، عند عرش أولاد حنيش، وهو العرش الذي ينتمي إليه، كما درس عند الثوامر، وعند عائلة بن بادة[2]. وفي بعض الأحيان لما يتصادف شهر رمضان والشيخ علي بالبادية، وهذا ما كان يذكره رحمه الله بأنه كان يصلي التراويح وحده، إضافة إلى ليلة السابع والعشرين[3]. ففي البادية كانت عملية التدريس تتم داخل خيمة يخصصها أهل البادية لمعلم القرآن لتعليم أبناءهم مبادئ اللغة، وحفظ القرآن الكريم، وقد كان الشيخ علي يلقى من أهل البادية الكثير من الاحترام، وكانوا حريصين كل الحرص على أخدهم معهم كل مرة، وعند رجوعه كان يعود محملا بخيرات البادية من الصوف، والسمن...[4].

ج) في متليلي: في الحقيقة كانت بداية الشيخ علي رحمه الله في تعليم القرآن بمنطقة السوارق قبل أن ينتقل إلى أي مكان، فلقد تخرج على يده، وهو في بداية مشواره التعليمي ستة من حفظة القرآن الكريم وكلهن بنات[5].

---

[1] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[2] المقابلة نفسها.

[3] . محمد بن دية: المقابلة السابقة.

[4] مقابلة مع الشيخ العناق، بالمنزل يوم السبت 10 نوفمبر 2014م، على الساعة 9:15 إلى 11:00صباحا.

[5] نفس المقابلة.

وفي العشرينات من القرن الماضي بدأ يدرس في مقام سيدي سليمان[1]، وذلك بالأخذ بنصيحة شيخه سي موسى المقبض، على الرغم من أنه كان يسكن في القصر القديم، فكان دائما يأتي في الصباح ويعود في المساء، لتعليم القرآن الكريم، إضافة إلى إمامة الناس في الصلوات الخمسة، ولقد كان يدرس في بداية الأمر خارج المسجد، في الغابات المجاورة له، ففي فصل الصيف يدرس في المكان الكثير الظل، وفي الشتاء يدرس في داخل المسجد[2].

ولبعد المسافة (من القصر القديم إلى مسجد سيدي سليمان) قرر الطالب على شراء غابة تكون قريبة من المسجد، وذلك في سنة1930م، وهذا ما سهل نشاطه به، وازداد عدد التلاميذ، خاصة من المناطق البعيدة من البلدة، فبعد ذلك فكر الشيخ علي في بناء مدرسة قرآنية (محضرة) خاصة به، وذلك بغابته بمنطقة حاضور[3]، وبمساعدة إسماعيل الشريف والد الطالب بكار الشريف الذي كان له دور كبير في بنائها ، وذلك لتحفيزه على تعليم القرآن الكريم، على غرار العديد من أولياء التلاميذ الذين كانوا يساعدونه، ويلبون حاجياته لكي يتفرغ لتعليم أبناءهم[4].

---

[1] كان في البداية عبارة عن مقام وبعدها ذلك حول إلى مصلى ومسجد للصلوات الخمس ولقد أسس كمسجد أول مرة في سنة 1347هـ/1927م،فيقع مسجد سيدي سليمان في الجهة الشرقية بمدينة متليلي، على بعد حوالي أربعة كيلومترات من وسط المدينة، وهو من حيث موقعه يتوسط بعض الغابات، أنظر: الملحق رقم06.

[2] قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

[3] وهي منطقة تقع في الوسط بين الجهة الشرقية، والجهة الغربية على بعد ثلاث كيلومترات من وسط بلدة متليلي، وتشتهر هذه المنطقة بكثرة النخيل ووفرت المياه، لذلك كانت مركز لاستقرار السكان، لأنهم كانوا يعتمدون وبشكل كبير على النخلة بكونها مصدر للرزق.

[4] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

ثانيا: منهجه التعليمي

أ) فترات الدراسة: كان الشيخ علي يدرس على وفقا لفترات الزمنية التي اعتاد عليها معلمو القرآن، وهي مقسمة إلى ثلاث فترات:

1) الفترة الصباحية: فبعد صلاة الفجر تبدأ الدراسة بقدوم بعض التلاميذ باكر من أمثال بيشي عبد الله، والشيخ بوصيحة، وبن بادة محمد، فيقومون بمحو ألواحهم وكتابتها قبل أن يلتحق التلاميذ الآخرون[1].

وبعد التحاق التلاميذ تباعا يقومون بعملية عرض ما حفظوه من القرآن على الطالب، فإن رأى فيه الطالب أنه قد حفظ اللوحة أجاز له بالمحو، ولقد كان الشيخ علي متشدد جدا في مسألة الحفظ بحيث أنه إذا شعر بأن التلميذ لم يتقن حفظ اللوحة جيدا أمره بأن يقوم بتكرارها عدة مرات، وبعد ذلك يقوم التلميذ بعرضها عليه مرة أخرى، فإن أتقنها أجاز له بالمحو[2].

وبعدها يقوم التلاميذ بعملية محو اللوحة، وطليها بالطين المخصص لهذا الغرض، وتجفيفها على النار ولقد كانوا يتسارعون بالرجوع إلى الحلقة لقيام بكتابة جزء جديد من القرآن الكريم، باستعمال مادة الصمغ كحبر للكتابة، أما عن الكتابة فتكون بأقلام القصب، ومن هنا تبدأ عملية الإفتاء[*]، بكتابة التلميذ على لوحته البسملة، والصلاة على النبي (ص)، وكتابة آخر آية من الآيات التي كتبها

---

[1] مقابلة مع عبد الله بيشي،أحد تلاميذ الطالب علي رحمه الله، بمسجد سيدي سليمان، يوم الاثنين2014/05/05معلى الساعة 17:00 إلى 17:30.

[2] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[*]وهو أن يملي ويلقن الطالب آيات القرآن الكريم على التلميذ وكتابتها على اللوحة، وذلك على حسب قدرة التلميذ على الاستيعاب، والحفظ، قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

بالأمس، في بداية اللوحة، أو بما يعرف عندنا بمصطلح (رأس اللوحة)،وذلك لربط الآيات ببعضها البعض لتسهيل الحفظ فيما بعد، فقد كان الشيخ علي متشددا في عملية تلقينه القرآن للتلميذ، فكان يلزمه بإعادة ذكر الآيات التي لقنه إياها، وذلك ليعرف إن كان التلميذ قد تمكن من نطقها بشكلها الصحيح، وفي حالة عدم تمكن التلميذ من إعادة الآيات، فيجب عليه أن ينتظر دوره في الإفتاء[1].

ويكون التلاميذ في شكل نصف دائرة متتالية بدء بالصغار ومنتهيا بالكبار القامة، لكي لا يحجبوا الصوت على الصغار، وقد يبلغ عددهم في بعض المرات إلى أكثر من خمسين تلميذ، وكل يفتي له على حسب طاقته في الاستيعاب والحفظ، وبعد إتمام عملية الإفتاء، يقوم الشيخ علي بتصحيح اللوحة أي ما كتب اليوم، فيقوم بتصحيح الأخطاء وقراءتها مع التلميذ مرتين، وبعدها يقوم بوضع خط فوق آخر آية في اللوحة لكي يبتدئ بها التلميذ في المرة المقبلة، وبعد ذلك يكتب في آخر اللوحة أبيات من متن ابن عاشر[2]وذلك على حسب قدرة التلميذ على الحفظ، ولا يمكن للتلميذ أن يبدأ في متن ابن عاشر إلا بعد وصوله إلى حزب سبح، وذلك حتى لايختلط عليه الأمر[3]. وفي بعض الأحيان يشير إلى المتشابهات الموجودة في القرآن الكريم من خلال كتابتها في حاشية اللوحة في شكل منظومة[4].

---

[1]عبد الله بن دية:المقابلة السابقة.

[2]وهي منظومة فقهية تحتوي على العقائد والعبادات، نسبة إلى ناظمها أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بنعلي بن عاشر(990-1040هـ/1582-1631م)، وله العديد من المؤلفات مثل: منظومة عديمة الأمثال في الاختصار، كثرة الفوائد، التحقيق، موافقة الشهور...، أنظر: المختار بن العربي مؤمن الجزائري: **العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر**، دار ابن الحزم للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت لبنان، 2004م، ص 18.

[3] مقابلة مع الدكتور عبد الحليم بيشي، بمنزله، يوم الخميس 22/ 05/ 2014م، على الساعة16:30 إلى 17:20.

[4]فمثلا في التفريق بين كلمة "المومنون والمومنين" فنجد أن المومنون تأتي في المواضع التالية(لايتخد به أبتلي إنما قد أفلح ظن رجال بها هم الرسول والزكاة يُظلمون، من كان بعدهم يكون مومنون)، وفي شأن " إلا الدين آمنوا وعملوا الصالحات" نذكر (إلا الذين آمنوا وعملوا خمسة وجدناهم قد أنزلوا، التين والعصر والانشقاق والشعراء، وصاد باتفاق)، مصطفى مصيطفى: المقابلة السابقة.

كان الشيخ علي رحمه الله حريصا على إتقان الخط في كتابة القرآن على اللوحة، فكان في بعض الأحيان يقوم بكتابة الحروف على يد التلميذ بقلم القصب لكيلا ينساها، ومن بين هذه الحروف التي يركز عليه (ك، ق، ذ، ز، ن)، إضافة إلى تشدده وحرصه على إتقان مخارج الحروف، ونطقها بشكلها الصحيح[1].

أما عن الصبيان الصغار فكان كلما يُأتي له بصبي لكي يبدأ تعلم وحفظ القرآن الكريم يقوم بإمساك يده ويدعوا له بقوله "بسم الله الرحمان الرحيم، وبه نستعين، ياربي زده علما وفهما"، فيبدأ بتعليمه حروف اللغة بكتابتها في اللوحة، أو في طبق يحتوي على الرمل، يكتب عليه الحروف ثم يمحوها، وبعد تمكنهم من حفظ الحروف يبدأ بتلقينهم للقرآن بداية بالفاتحة، والسور القصار بالترتيب، فيقوم هو بنفسه بكتابة ما يستوعبه هذا الطفل من الآيات ويلقنها إياه،وفي بعض الأحيان يتولى كتابة هذه اللوحة وتلقينها للصبيان أحد التلاميذ الكبار[2]، إلا أن هناك بعض الحالات النادرة مثل حالة الطالب بكار الشريف الذي عندما وصل إلى سورة "الكافرون" قام بإفتائها وكتابتها بنفسه[3].

وبعد أن يفرغ التلاميذ من كتابة ألواحهم يقومون بحفظ اللوحة القديمة وتكريرها، وغالبا ما تكون الصدقات التي تقدم للمحضرة في هذه الفترة الصباحية، والتي يقوم الطالب على بتقسيمه على كل التلاميذ، حتى ولو كانت خبزة واحدة، وفي يوم الأربعاء يقوم جل التلاميذ بعرض ما حفظه في الأسبوع، وهو ما يعرف "برأس السورة"، أي أن التلميذ يقوم بعرض ما حفظه بداية من أول السورة

(1) محمد بن دية: المقابلة السابقة،

(2) قدور مولاي: المقابلة السابقة.

(3) عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

إلى آخر آية وصل إليها في ذلك اليوم من الحفظ، وإن لم يجد الشيخ علي هذا التلميذ حافظا لها أرجعه من حيث أخطأ وفي كثير من الأحيان يرجعه إلى بداية السورة ليحفظها من جديد [1]، وحين يحين وقت الانتهاء من الفترة الصباحية يقوم الشيخ علي بتسريح البنات أولا، ثم يخرج باقي التلاميذ،وفي هذا يقول الطالب "بوجمعة حوتية" في كثير من الأحيان عند خروجنا من المدرسة القرآنية(المحضرة)، كنا نتتبع الظل الملتصق بالجدار" إي أن وقت الخروج هو منتصف النهار[2].

2) الفترة المسائية:

تبدأ هذه الفترة بعد صلاة الظهر إلى العصر وفي بعض الأحيان إلى اصفرار الشمس، فهذه الفترة مخصصة لحفظ القرآن وتكراره جماعيا، وفي بعض الأحيان يقوم بعض التلاميذ بعرض ألواحهم على الطالب، فيجيز لهم بمحوها لكتابتها في صباح الغد، وكان في كل يوم أربعاء يقوم بحلاقة رؤوس التلاميذ، أما عن العطلة فتكون يومي الخميس والجمعة، إضافة إلى أيام المناسبات(الأعياد، المولد الشريف)[3].

3) في الليل:

إضافة إلى هذه الفترتين كانت هناك الفترة الليلية من المغرب إلى ما بعد صلاة العشاء، وفي بعض الأحيان إلى أوقات متأخرة من الليل،والتي خصصت كذلك للتكرار، وقراءة أحزاب من القرآن الكريم(من خمسة أحزاب إلى ما فوق) بالطريقة الجماعية من طرف التلاميذ الذين يسكنون في

---

[1] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[2] مقابلة مع بوجمعة حوتية، أحد تلاميذ الطالب علي رحمه الله،في منزله، يوم الجمعة2014/02/14معلى الساعة 14:30إلى15:15.

[3] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

الأماكن القريبة من المدرسة القرآنية، من أمثال الشيخ بوصيحة، بيشي عبد الله، عبد الرحمان بن فرج، بوجمعة حوتية، الشريف بكار، مولاي عبد الله عبد الرحمان، بن دية عبد الله، وغيرهم كثير، ففي فصل الصيف تكون القراءة في الغابة المجاورة المحضرة وفي الشتاء يدخلون إلى المحضرة، أو في منزل الشيخ علي[1].

ويشيد تلامذته بطريقة القراءة الجماعية، وذلك في حفظ الكثير من السور عن طريق السماع مثل سور (يسين، الفتح، الملك، الرحمان) وتعلمهم لحركات المدود من خلال الإشارات التي يشيرها الشيخ علي بيده[2].

وقد كان الشيخ علي في فترة غيابه يعين أحد الطلبة لينوبه في تدريس التلاميذ، فلما ذهب إلى آداء مناسك الحج في سنة 1954م، ناب عنه أحد تلامذته، وهو الطالب سي بلقاسم الشريف[3].

ب) في المناسبات: لقد كان للطالب علي في المناسبات الدينية برنامج خاص، في شهر رمضان الكريم، وفي عاشوراء، وفي ختم التلميذ للقرآن الكريم.

1) في شهر رمضان الكريم: كان تعليم القرآن في هذا الشهر يتم بالطريقة العادية في الفترة الصباحية، والفترة المسائية، إلا أن هذه الفترات تكون مدتها الزمنية قصيرة على عكس أيام الدراسة في الأشهر العادية، وفي الليل يختلف البرنامج، وذلك لإحياء ليالي هذا الشهر الفضيل من خلال صلاة التراويح هذه الصلاة التي كانت تؤدى في الأحياء(حي العرمة) و في الغابات(غابة سي موسى)، وفي وقت

---

(1) مقابلة مع الشيخ بوصيحة، أحد تلاميذ الطالب علي، في مسجد سيدي سليمان، يوم الأحد11/05/ 2014م، على الساعة16:30 إلى 17:20.

(2) قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة،

(3) عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

متأخر كانت تصلى في مسجد سيدي سليمان، ولقد كانت هته الليالي تحي من طرف التلاميذ النجباء والبارعين في الحفظ من أمثال الشريف بكار بن جلول، والشريف بكار بن إسماعيل، بوجمعة حوتية، بلخضر قدور، بلخضر محمد،...[1]

وبعد الفراغ من آداء صلات التراويح، تكون هناك حلقة لتلاوة القرآن جماعيا كالعادة، مع المضاعفة في عدد الأحزاب، وفي ليلة السابع والعشرون من رمضان يقوم الشيخ علي بتقسيم التلاميذ الحفاظ على أماكن الصلاة في الأحياء وفي المسجد، وفي بعض الحالات كان الشيخ علي يصلي بنفسه هذه الليلة بالتناوب مع تلامذته[2].

2) في يوم عاشوراء: يقوم التلاميذ في هذا اليوم بما يعرف بعملية "التصراف" وهي جمع الصدقات من المنازل والأحياء القريبة، فيكتب التلاميذ في ألواحهم الآيات الأولى من سورة الفتح، ويقومون بقراءتها، إضافة إلى بعض الأدعية، وينتقلون من منزل إلى منزل، ومن حي إلى حي، وما يجمعونه من المال تقام به صدقة في المدرسة القرآنية (المحضرة) وذلك بحضور أهل الحي، إضافة إلى تلاميذ بعض المدارس القرآنية الأخرى[3].

3) في ختم القرآن: عند حفظ التلميذ للقرآن الكريم وختمه تقام وليمة من طرف وليه، بحضور كل من الشيخ علي وبعض المشايخ، إضافة إلى تلاميذ المدرسة، فيتم تتويج هذا التلميذ بقراءة قصيدة

---

[1] الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة.

[2] بوجمعة حوتية: المقابلة السابقة، قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

[3] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

"البردة"، متزامنة مع إلباسه للعباءة والبرنوس، ووضع التاج فوق رأسه، وهذه عادة أهل البلدة في تتويج ختمة وحفظة القرآن الكريم[1].

وفي الأخير يقوم كل طالب من المشايخ الحاضرين بكتابة الآية التالية على لوحة هذا التلميذ[لَا يُكَلِفُ اللهُ نَفْسًا إِلَا وِسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَنَا لَا تُوَاخِذْنَا إِنْ نَسِيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَنَا وَلَا تُحَمِلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِيْنْ][2] صدق الله العظيم .

وتكون كتابة هذه الآية في لوحة هذا التلميذ بداية بالشيخ علي، لتكون بمثابة شهادة لختمه وحفظه للقرآن الكريم، ولكي تبقى ذكرى له[3].

ثالثا: منهجه الخاص

إضافة إلى منهج الشيخ علي التعليمي كان له منهج خاص به في حياته، فكان يقضى ليله ونهاره في تلاوة القرآن الكريم، فله ورد يومي من القرآن لا يمنعه عنه شيء، ولا يتركه في حضر ولا في سفر، فكان يوميا يستيقظ قبل الفجر يتوضأ ويصلي ما شاء الله له أن يصلي، ثم يأخذ في التسبيح إلى غاية صلاة الصبح[4].

---

[1] الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة.

[2] سورة البقرة، الآية286.

[3] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[4] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

أما يوم الجمعة فإنه كان لايترك قراءة دلائل الخيرات للإمام الجزولي، فقد كانت له نسخة كتبها بيده، وكان دائما لايتخلف عن صلاة الجمعة، فقد كان يذهب باكرا إلى المسجد العتيق ولا يعود منه إلا بعد صلاة العصر[1].

أما في شهر رمضان فقد كان يجلس في حلقات شرح الموطأ ودروس الفقه في المسجد العتيق وفي مدرسة الطالب إمحمد بوكادي[2].

رابعا: دوره الإصلاحي والاجتماعي

لقد كان للطالب علي دور كبير في المجتمع، فلقد كان ذا مكانة اجتماعية مميزة لدرجة أن أي أحد من الحي وخارجه إذا كانت هناك مناسبة كيفما كانت إلا كان الشيخ علي طرفا فيها،فنجده يسعى دائما لإصلاح ذات البين في كثير من الأحيان، فإذا حضر الشيخ علي فإن هذه القضية تحل بإذن الله، وذاك لتسليم الناس أمورهم له، حتى في الخلافات بين الزوجين، فلقد كان الشيخ علي يتدخل لحل هذه المشاكل[3].

أما في أمور الزواج فقد كان الشيخ علي يقوم بعملية العقد الشرعي، هذه المهمة التي كلف بها فيما بعد من طرف جبهة التحرير خلال الثورة التحريرية[4].

---

[1] عبد الله بيشي: المقابلة السابقة.

[2] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

[3] الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة.

[4] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

إضافة إلى كون مترله مؤوى للفقراء والمساكين والعجائز، فقد كانوا يقيمون بالأيام، وذلك في رعاية الشيخ علي، وزوجته الحاجة عائشة رحمها الله التي كانت تسهر على شؤونهم من الأكل والشرب، وتقديم للمعونات[1].

ولا يجب أن ننسى الدور الذي قام به الشيخ علي رحمه الله في نشر الوعي، وزرع كراهية الاستعمار الفرنسي في نفوس تلامذته بدليل أن جل تلامذته كانوا فيما بعد مجاهدين وشهداء، ومن بينهم الشهيد بلخضر قدور، الشهيد بلخضر محمد ، الشهيد الشريف بكار بن جلول، ومن المجاهدين الشريف بكار بن إسماعيل،بلخضر عبد القادر، الشريف سي بلقاسم... [2].

فكان هذا الحي (حي حاضور) مركزا مهما للثورة في مدينة متليلي الشعانبة، وذلك من خلال دور الإخوة بلخضر في الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، إضافة إلى أن هناك مركزا سريا للمجاهدين في الغابة بجانب محضرة الشيخ علي، هذا ماجعل السلطات الفرنسية تقوم بعمليات مراقبة لهذا الحي، ولهذه المحضرة ، إلا أن هذه المحضرة لم تتعرض للغلق، أو عرقلة نشاطها لأن الشيخ علي كان يبدوا في الظاهر معلم قرآن فقط، إلا أن الشيخ علي كان يتابع كل صغيرة وكبيرة عن الثورة[3].

---

[1] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[2] قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

[3] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

المبحث الثالث: وفاته وآثاره

أولا: وفاته

لقد كان الشيخ علي رحمه الله يقضي كل وقته في تلاوة القرآن الكريم حتى في حالة مرضه، والتي دامت حوالي تسعة أيام قبل وفاته، وذلك حسب شهادة تلامذته الذين كانوا في كل مرة يزورونه فيها يجدونه يقرأ القرآن، وفي ليلة وفاته قرأ رفقة تلامذته(بيشي عبد الله، بن دية عبد الله، لعمش حسين) سورة يسين، وفي هذا يذكرون بأنه رغم حالته المرضية إلا أنه كان يصحح لهم الغلطات في مخارج الحروف، وأحيانا يتعمدون السكوت فيواصل هو القراءة[1].

فقد كان الشيخ علي متعلقا بالقرآن حتى وهو في اللحظات الأخيرة من حياته، وفي هذا يقول مصطفى مصيطفى "أن الشيخ علي كان يقرأ في سورة تبارك كما هي وبدون أخطاء، وهو في حالة شبه غيبوبة وذلك قبل وفاته بوقت قصير"[2].

توفي الشيخ علي رحمه الله يوم الخميس18 رجب1407هـ/19 مارس1987م، ودفن في مقبرة مولاي سليمان بمتليلي[3]، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى وجزاه الله عنا كل خير

ثانيا: آثاره

لقد خلف الشيخ علي رحمه الله بعد وفاته آثار من خلال مسجد سيدي سليمان الذي أسسه رفقة سكان الحي ومدرسته القرآنية (المحضرة)، ولقد خلف كذلك آثار من خلال تلامذته

---

(1) عبد الله بن دية: المقابلة السابقة، عبد الله بيشي: المقابلة السابقة،لعمش حسين: المقابلة السابقة.

(2) مصطفى مصيطفى: المقابلة السابقة.

(3) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 70.

أ) مسجد سيدي سليمان:

لقد كان مسجد سيدي سليمان كما ذكرنا سابقا عبارة عن مقام، وبعد مجيء الشيخ علي إلى المنطقة كان من المؤسسين الأوائل لهذا المسجد رفقة الحاج مسعود بلمختار، وغيرهم من سكان الحي، فكان تأسيسه بصفة رسمية في سنة 1347هـ/1927م، فكان الشيخ علي يؤم المصلين في هذا المسجد، الذي كان تحت إشرافه، وعلى الرغم من أنه كان مسجد للصلوات الخمس إلا أنه في كل مرة كانت تأتيه خطب الجمعة من مديرية الشؤون الدينية، حتى وفاته رحمه الله[1].

ونظرا لتزايد المصلين قرر سكان الحي توسعة المسجد أو بناء مسجد كبير بجواره، واستقر القرار على بناء مسجد بجانبه، فبعد شراء قطعة الأرض بتضافر جهود المحسنين من أمثال الحاج عبد القادر بلخضر، الحاج عبد القادر نواصر، ..... وغيرهم كثير، وبدأت الأشغال فيه في سنة 1998م، وبعد أعوام من العمل الجهيد انتهت الأعمال في سنة 2010م، والذي عين فيما بعد من المساجد التي تؤدى فيها صلاة الجمعة، فتم افتتاح صلاة الجمعة فيه يوم10 صفر 1432هـ/14 جانفي 2011م[2].

ب) مدرسة الشيخ علي القرآنية:

لقد تم تأسيس هذه المدرسة القرآنية (المحضرة)كما ذكرنا سابقا في الثلاثينيات من القرن الماضي من طرف الشيخ علي بمساعدة إسماعيل الشريف، هذه المدرسة التي أخرجت العديد من حفظة القرآن الكريم، ولقد بقيت كذلك حتى بعد وفاة الشيخ علي رحمه الله، فلقد أعيد بنائها وترميمها في

(1) عبد الله بيشي: المقابلة السابقة.

(2) محمد بن دية: المقابلة السابقة، أنظر: الملحق رقم07.

سنة 1989م[1]، والتي كان الطالب عبد الله يدرس فيها القرآن الكريم خلفا لأبيه، فقد كانت في كثير من الأحيان مكان لحلقات الدروس والفقه من طرف الأخ محمد بن دية والأستاذ مصطفى البكوش، إضافة إلى تلاوة القرآن الكريم جماعة كل يوم الاثنين والجمعة، وذلك بعد صلاة العصر، وأحيانا بعد صلاة المغرب، وفي شهر رمضان تكون هناك تلاوة القرآن جماعيا في كل ليلية من لياليه المباركة، إضافة إلى تنظيم المسابقات في حفظ القرآن الكريم [2]. وللمدرسة(المحضرة) مكتبة في طور الإنجاز تحتوي على كتب الدين بمختلف أنواعها من كتب الفقه والسيرة...الخ، حاملة اسم مكتبة الشيخ علي رحمه الله.

ج) أهم تلامذته: لقد تخرج على يد الطالب على عدد لا يحصى من التلاميذ من كل أنحاء البلدة وخارجها في البادية، جيل بعد جيل، فقد أُخد عنه طبقة بعد طبقة، فألحق الصغار والكبار، والأحفاد بالأجداد، وكل هذا بشهادة جميع تلامذته الذين حاورتهم[3].

ومن أهم تلامذته الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية تعليم كتاب الله خلفا لشيخهم نذكر:

1) الطالب بكار الشريف بن إسماعيل: هو الطالب بكار بن إسماعيل الشريف من مواليد سنة 1334هـ/ 1915م، بمتليلي الشعانبة، نشأ في أسرة محافظة شريفة النسب[4]، كان والده إسماعيل مهتم بتعليم أبنائه القرآن الكريم، فبعد قدوم الشيخ علي وبداية تدريسه في مسجد سيدي سليمان، كان

---

(1) أنظر: الملحق رقم 08.

(2) محمد بن دية: المقابلة السابقة.

(3) عبد الله بيشي: المقابلة السابقة، بوجمعة حوتية: المقابلة السابقة، الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة، مصطفى مصيطفى: المقابلة السابقة.أنظر الملحق رقم10.

(4) عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 71.

والده إسماعيل يحرص كل الحرص على مواظبة أبنائه على المحضرة، وتشجيع الشيخ علي على تعليم القرآن في هته المنطقة، فكان الطالب بكار منذ صغره ذا دكاء كبير، وقوة في الحفظ، هذا ما جعله يتفوق على كل بمن هم في مثل عمره، ومثال ذلك أنه لما وصل إلى سورة الكافرون قام بإفتائها على الشيخ علي وكتابتها بنفسه[1].

لقد كان الطالب بكار من التلاميذ المواظبين، فكان لا يتخلف على الذهاب إلى المحضرة، وكان همه الوحيد حفظ القرآن الكريم، هذا ما جعله يختم القرآن في سن مبكرة، وعلى ثلاث مرات[2]،لذلك فقد كانت منزلته عند الشيخ علي كبيرة فقد كان يقدمه على تلامذته، خاصة في إمامة الناس في شهر رمضان الكريم في صلاة التراويح، وذلك لحفظه الجيد والمتقن للقرآن الكريم[3].

أما عن تلاوة القرآن، فكان من التلاميذ الناشطين في إحياء الليل في قراءة القرآن وأحيانا إلى أوقات متأخرة من الليل، فقد كان يلازم الشيخ علي ويداوله دائما في مراجعة القرآن الكريم والمسائل الفقهية، حتى أنه ذات مرة قام الطالب بكار بعرض القرآن الكريم على الشيخ علي، حتى نام الشيخ علي، فلما استيقظ وجد الطالب بكار قد قرأ حوالي نصف القرآن الكريم[4].

ولتحصيل المزيد من العلم درس علم التوحيد والفقه والسيرة على بعض مشايخ المسجد العتيق من أمثال عبد العالي بختي، كما كان يسافر أسبوعيا إلى الشيخ صالح بوزيدي أحد علماء الزيتونة القاطنين في غرداية، من أجل تحصيل علم المواريث، هذا ما أهله إلى تولي مهمة التدريس القرآني

---

[1] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[2] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

[3] الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة.

[4] مصطفى مصيطفى: المقابلة السابقة.

بالمسجد العتيق بمتليلي، ولقد انظم إلى صفوف الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية كعضو في مجلس الإفتاء والأوقاف، وبعد الاستقلال واصل مهمته لمدرس وإماما بالمسجد العتيق فيما بعد إلى سنة 1975م[1]، وعرف الطالب بكار باحترامه الشديد لشيخه الشيخ علي فلقد كان في كل مرة يزور الشيخ علي ويتداول معه قراءة القرآن الكريم، إلى غاية وفاة الشيخ علي رحمه الله[2].

توفي الطالب بكار في 26رمضان1422هـ/12ديسمبر 2000م، بعد شهوده جنازة أحد إخوانه من أهل القرآن، ودفن في مقبرة مولاي سليمان بمتليلي[3]، رحمه الله برحمته الواسعة

2) الطالب عبد الله بيشي: هو عبد الله بن موسى بيشي من مواليد خلال سنة1361ه/1942م بمتليلي، نشأ في أسرة محافظة، فكان منذ صغره محبا وراغبا في حفظ القرآن الكريم، بدأ تعلمه للقرآن علي يد الشيخ علي وعمره ست سنوات، ولقد امتاز بمواظبته على الذهاب إلى المحضرة، فكان من الطلبة النجباء، ويذكر رحمه الله أنه بعد صلاة الصبح يأتي إلى مترل الشيخ علي كان يمحي ويكتب لوحته قبل مجيء التلاميذ، ويتناول فطوره مع الشيخ علي، ثم يذهب إلى المحضرة ليحفظ مع باقي التلاميذ، ولقد كان في كثير من الأحيان بتكليف من الطالب يقوم بتدريس بعض التلاميذ، وإعانتهم في حفظ ألواحهم[4].

ولقد ختم الطالب عبد الله القرآن الكريم وأتقن حفظه، فكان من التلاميذ الذين يحيون ليالي شهر رمضان الكريم في صلاة التراويح، إضافة إلى ذلك فقد كان لايتخلف عن مجالس القرآن ومداولة

---

[1] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 71.

[2] عبد الله بن دية: المقابلة السابقة.

[3] عبد الحميد بن ولهة: المرجع السابق، ص 71.

[4] عبد الله بيشي: المقابلة السابقة، الشيخ بوصيحة: المقابلة السابقة، عبد الله بن دية: المقابلة السابقة، بوجمعة حوتية: المقابلة السابقة.

المسائل الفقهية في الليل بمحضرة الشيخ علي، على الرغم من اشتغاله بالتجارة حتى وفاة هذا الشيخ علي رحمه الله[1].

ولقد واصل الطالب عبد الله بيشي رحمه الله على طريق شيخه في إمامة الناس بمسجد سيدي سليمان متطوعا في سبيل الله، إضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد، فلقد كان دائما يسعي إلى جلب المشائخ للقيام بالدروس في الفترة مابين المغرب والعشاء، وكان قلما يتخلف على صلاة الجماعة في المسجد، وصلاة الجنازة إضافة إلى قراءة الحزب الراتب بالمسجد، بصوته الجوهري المتميز، خصوصا في قراءته لقصيدة البردة في تتويج العرسان، والذي يعطي للحفل طابع خاص، إضافة إلى مداومته على القيام على إفطار الناس في شهر رمضان الكريم، وكما كان أبوه حريصا علي تعليمه للقرآن الكريم، والعلم النافع، كان الطالب عبد الله حريصا أيضا على تعليم أبنائه من البنين والبنات العلم النافع، ومن بينهم الدكتور عبد الحليم بيشي[2].

وبقي الطالب عبد الله بيشي مداوما على قراءة القرآن، والآذان في المسجد، إضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد إلى غاية وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء14رجب 1435هـ/13ماي2014[3].

---

[1] مقابلة مع حسين لعمش، أحد تلاميذ الطالب علي، بمنزل عبد الله بيشي رحمه الله، يوم الثلاثاء 2014/05/13م، على الساعة 22:15 إلى 23:20.

[2] المقابلة نفسها.

[3] توفي الطالب عبد الله بيشي بعد أيام من مقابلتي معه، أسأل الله تعالى أن يتقبل منه هذا العمل ويجعله في ميزان حسناته، إن لله وإن إليه راجعون.

3) الإمام عبد الرحمان مولاي عبد الله هو عبد الرحمان بن الحاج أحمد بن محمد بن زكي، من مواليد سنة1347هـ/1928م، بمتليلي، وهو من أسرة شريفة النسب[1]، نشأ في أسرة محافظة، فلقد كانت أمه تشجعه على قراءة وحفظ القرآن الكريم، وإضافة إلى ذلك فقد كانت في كل مرة تبعت بالغداء إلى الشيخ علي الذي بدأ تدرسه بجوار مترلهم في غابة سي موسى قبل انتقاله إلى مسجد سيدي سليمان، فلقد باشر سي عبد الرحمان تعلمه وحفظه للقرآن الكريم، فكان من التلاميذ النجباء والمواظبين على حلقات القرآن وتكراره مع الجماعة[2].

وفي سنة 1959م، انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني حتى الاستقلال، وبعدها عمل كمتطوع في تعليم القرآن الكريم بالمسجد العتيق، وفي دار سي الحاج موسى، وفي سنة1974م عين إماما للصلوات الخمس بمسجد عقبة بن نافع بساقية موسى بحي شعبة سيدي الشيخ بمتليلي، ولقد عين إماما خطيبا سنة 1982م بمسجد عمر بن الخطاب بالحديقة، مدرسا وواعظا، حتى تقاعده سنة 1994م، وظل يصارع المرض إلى وفاته في12ذو الحجة 1416هـ/1996/05/01م، ودفن رحمه الله بمقبرة مولاي سليمان بمتليلي[3].

4) الطالب الشيخ بوصيحة: هو الشيخ بن محمد بن البشير من مواليد خلال سنة1361هـ/1942م بمتليلي، بدأ دراسته عند الشيخ علي، وذاك بتشجيع من والده محمد بن بشير، والدي كان حريص كل الحرص على تعلم ابنه القرآن الكريم وحفظه، فكان يوقظه في الصباح الباكر لكي يذهب إلى

---

(1) مقابلة مع عبد القادر مولاي عبد الله، يوم الثلاثاء 2014/05/13م في مسجد سيدي سليمان بمتليلي، على الساعة 16:30إلى 17:00

(2) قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

(3) عبد القادر مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

المحضرة، وفي هذا يقول الطالب الشيخ" أن الوالد كان يوقظني باكرا بكونه يشرع في عملية السقي بالطريقة التقليدية، لأذهب إلى المحضرة، فأجد الشيخ علي هو كذلك يسقى، فامحي لوحتي ويمليها علي فأكتبها وهو يقوم بعمليه السقي، وعندما أفرغ من الكتابة أقوم بالانصراف قبل مجيء التلاميذ"[1].

ختم القرآن الكريم وأتقن حفظه على يد الشيخ علي، وكان الطالب الشيخ من المواظبين على الذهاب إلى المحضرة وحضور التلاوة والتكرار في الفترة الليلية[2].

ولقد عين في سنة 1981م معلما للقرآن الكريم في مسجد سيدي سليمان، ولقد تخرج على يده الكثير من حفظة القرآن الكريم من أمثال عبد الحليم بيشي، أحمد مولاي عبد الله، مصطفى البكوش، إضافة إلى العديد من البنات، وهو إلى حد الآن يزاول تعليمه للقرآن الكريم بمسجد سيدي سليمان (المسجد القديم)[3]. حفظه الله

5) الطالب بوجمعة حوتية: هو بوجمعة بن أحمد حوتية، الملقب بالطالب الجمعي، من مواليد سنة1354هـ/1935م بمتليلي، بدأ تعلمه القرآن الكريم سنة 1942م، حيث أخذه عمه العيد حوتية إلى غرداية، وحفظ من القرآن حتى سورة سبح، ثم رجع إلى متليلي فأدخله أبوه عند الشيخ علي رحمه الله، حيث أتم ختم القرآن الكريم وحفظه على يديه، فلقد كان من التلاميذ المواظبين والنجباء الحريصين على الجلوس في حلقات الذكر والقرآن[4].

---

(1) الشيخ بوصيحة، المقابلة السابقة.

(2) المقابلة نفسها.

(3) المقابلة نفسها.

(4) بوجمعة حوتية: المقابلة السابقة.

فكان الطالب الجمعي من التلاميذ الذين كان الشيخ علي يقدمهم في صلاة التراويح، وليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، وذلك لحفظه الجيد وقراءته الواضحة السهلة[1].

وفي سنة 1955م انتقل الطالب الجمعي إلى مدرسة الشيخ بالكبير (1339هـ- 1421هـ/ 1911-2000م) بأدرار لتعلم المزيد من العلوم الدينية، وبعد ثمانية سنوات من ملازمته للشيخ بالكبير عاد إلى متليلي، وبعد هذا تبرع له أبوه بالمكان الذي بنيت فيه المحضرة بحي الرزيقي، ومن هنا بدأت تتوافد جمع الطلبة من أنحاء البلدة، حتى أن الشيخ علي رحمه الله قام ببعث بعض التلاميذ لإتمام دراستهم وحفظهم للقرآن عنده من أمثال جلول بلمختار، لخضر الدوادي...[2].

وفي سنة 1987م التحق الطالب الجمعي بمسجد عبيدة بن الجراح، حيث عين كإمام معلم، حتى إحالته على التقاعد في سنة 1997م، هذا بالإضافة إلى تعليمه للقرآن الكريم في محضرته بحي الرزيقي إلى غاية يومنا هذا[3].حفظه الله وأطال في عمره

6) الطالب عبد الله بن ديبة:

هو عبد الله بن علي بن ديبة من مواليد سنة9 صفر1364هـ/24 جانفي 1945م، بمتليلي، تعلم وحفظ القرآن الكريم على يد أبيه الشيخ علي رحمه الله، ولقد كان من الملازمين له منذ صغره، ويحضر معه جلسات الذكر والقرآن، وإصلاح ذات البين، وبعد وفاة والده الشيخ علي رحمه تولي بعده مهمة تدريس القرآن الكريم في محضرة والده، ولقد تخرج وختم على يده الكثير من التلاميذ من بينهم بالمختار علال، مصيطفى بوحفص، هرمة عبد الرزاق، ...

---

[1] قدور مولاي عبد الله: المقابلة السابقة.

[2] بوجمعة حوتية: المقابلة السابقة.

[3] المقابلة نفسها.

ولقد اتبع الطالب عبد الله مسيرة والده، فإضافة إلى تعليم القرآن كان يسعي دائما إلى إصلاح ذات البين، والقسمة بين الناس في التركات والمواريث، وهو إلى يومنا هذا لا يدخر جهدا في سبل تعليم القرآن الكريم، وتكريم حملته[1]. حفظه الله وأطال في عمره.

[1] محمد بن دية: المقابلة السابقة.

الخاتمة

وفي الأخير توصلت في ختام هذه المذكرة إلى مجموعة من الاستنتاجات أوجزها في الآتي:

- كان التعليم في العهد العثماني حر وخاص، فلم يكن للدولة العثمانية أي تدخل في مجال التعليم باستثناء بعض المحاولات مثل محاولات صالح باي، والتي لم يكن لها أثر كبير في تطوير التعليم، فالتعليم في هذه الفترة يعتمد على الأوقاف وصدقات بعض المحسنين،فقد كان التعليم في هذه الفترة يشمل ثلاث مراتب، إبتداءا بالتعليم الابتدائي، والمتمثل في الكتاتيب والمدارس القرآنية، والتعليم الثانوي، والمتمثل في المساجد والزوايا.

- بعد دخول الفرنسيين تدهورت أوضاع التعليم في الجزائر،فأول عمل قامت به هو هدم المساجد، ومصادرة أوقافها، و لم تكتفي بهذا، إذ سعت أيضا إلى التضييق على المدارس القرآنية من تنظير مراسيم وقوانين للحد من مهمة هذه المدارس، إضافة إلى تعرض أكثرها إلى الهدم والغلق.

- ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين ، والتي كان لها دور بارز في النهضة بالتعليم الحر، من خلال زعمائها، والوسائل التي اعتمدت عليها،من تنظيم التعليم في المساجد، وإنشائها للمدارس الحرة وتطوير برامجها، وتأطير المعلمين بها، وعلى الرغم من المضايقات من طرف الإدارة الفرنسية، إلا أن هذه المدارس كانت في انتشار في أنحاء الوطن.

- كان التعليم الحر منتشرا في منطقة غرداية من خلال المحاضر والمساجد، والمدارس الحرة الحديثة، نتيجة لجهود بعض المشايخ المحليين، و خريجي جمعية العلماء المسلمين.

- كان التعليم الحر عند الإباضية كان يعتمد في بداية الأمر على المدارس القرآنية(المحاضر)، التي كانت منتشرة بشكل كبير في قرى بني ميزاب، ولقد كانت سنة 1850م، بداية أول معهد في بني

يزقن، من طرف الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، فلقد كان له ولمعهده دور كبير في انتشار معاهد ومدارس أخرى، مثل معهد الحياة بالقرارة، وبمرور السنوات انتشرت هذه المدارس حرة في كل قرية من المنطقة، والتي من بينها مدرسة الإصلاح بغرداية، ومدرسة النهضة بالعطف، ومدرسة النور ببنورة، ومدرسة الفتح ببريان.

فكان لرواد التعليم الحر عند الإباضية دور بارز من أمثال محمد بن يوسف أطفيش الذي تخرج على يده العديد من التلاميذ من بينهم إبراهيم أبو اليقظان، والذي كان له هو الآخر دور تعليمي وإصلاحي، وإبراهيم بيوض بدوره التعليمي من خلال تأسيس معهد الحياة ومشاركته في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- أما عن التعليم عند المالكية فكان يعتمد هو الآخر على المساجد والكتاتيب، وكان التعليم يعتمد على الشيوخ المحليين، إضافة إلى استقدام بعض المشايخ من تونس مثل الشيخ لعروسي، والشيخ محمد صالح بوزيدي، وبعد مجيء الشيخ الأخضر الفيلالي إلى المنطقة(خريج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) أعطى دفعا قويا في بعث التعليم الحر من جديد من خلال فتحه لمدرسة حرة، - والتي تعتمد في نشاطها على مسجدين أساسين هما مسجد خالد بن الوليد بغرداية، ومسجد العتيق بضاية بن ضحوة- وإرسال البعثات إلى جامع الزيتونة، فتخرج على يده العديد من التلاميذ الدين رفعوا لواء التعليم من بعده أمثال محمد بن عمر بوحميدة، الأخضر الدهمة...

- لقد كان لرواد التعليم الحر عند المالكية من أمثال الشيخ الأخضر الفيلالي، و الشيخ زيان بن الحاج إسماعيل بوحميدة، والشيخ إسماعيل بن زيان بوحميدة، والشيخ الأخضر الدهمة دور كبير في نشر العلم والوقوف بشكل كبير في وجه الاستعمار، وضد حملات التنصير التي كانت تستهدف المنطقة

- يعتبر الشيخ علي بن دية رحمه الله من المشايخ المحليين الذين كان لهم دور كبير في تعليم الأجيال للقرآن الكريم، فكان مند صغره محبا للقرآن، فلقد تتلمذ على العديد من المشايخ من بينهم الطالب محمد بن عبد الرحمان، والذي كان أول شيخ له، والطالب محمد عبد الله السوسي، الذي أكمل عنده حفظ القرآن الكريم، إضافة إلى تعلمه بعض من الفقه على يد الطالب أحمد بوكادي، والطالب محمد بن عبد العالي، وكان لا يمنعه كبر سنه على التعلم فدرس عند الطالب أمحمد بوكادي، على الرغم أنه يصغره سنا.

- كان الشيخ علي دائما يأخذ بنصيحة شيخه في الطريقة سي موسى المقبض للتدريس في مناطق مختلفة بدأ بضاية بن ضحوة، وفي البادية، نهاية بالبلدة (متليلي) من خلال تأسيسه للمدرسة القرآنية(المحضرة) الخاصة به بالبلدة، فكان يقضي كل وقته في تعليم القرآن للتلاميذ الذين كانوا يأتون من كامل أنحاء البلدة لاتمنعهم بعد المسافة، ولا قلة الشيء، فلقد كان همهم الوحيد تعلم وحفظ القرآن الكريم، وأما عن فترات التعليم في هذه المدرسة (المحضرة) فكان يتم في الصباح وفي المساء، إضافة إلى الفترة الليلية المخصصة للتلاوة الجماعية للقرآن الكريم.

- كان للطالب علي دور كبير في المجتمع، فكان ذا مكانة مميزة في المجتمع ويحض باحترام الجميع، وذلك بسعيه إلى إصلاح ذات البين، وإيواء الضعفاء من الناس، فلقد كان هذا دأب الشيخ علي في حياته التعليمية، والاجتماعية حتى وفاته رحمه الله.

- لقد خلف الشيخ علي رحمه الله بعد وفاته آثارا من خلال مسجد سيدي سليمان الذي أسسه رفقة سكان الحي، والذي كان يتولى شؤونه فيما بعد من إمامة الناس في الصلوات الخمس، وتعليم القرآن الكريم، هذا المسجد الذي مازال يؤدي واجبه التعليمي والديني، من خلال مدارسه القرآنية، ومن خلال دروس الوعظ والإرشاد، وآثار أخرى من خلال مدرسته القرآنية(المحضرة) بغابته، التي مازالت تؤدي رسالتها التعليمية، من تعليم للقرآن الكريم، وتلاوته، إضافة إلى بعض الدروس.

- لقد خلف الشيخ علي بعد وفاته تلاميذ حملوا مشعل تعليم القرآن والعلم من أمثال الطالب بكار الشريف رحمه الله، والطالب عبد الرحمان مولاي عبد الله رحمه الله، والطالب عبد الله بيشي رحمه الله، والطالب بوجمعة حوتية، والطالب عبد الله بن دية، والطالب الشيخ بوصيحة، والطالب قدور مولاي عبد الله، حفظهم الله، وغيرهم كثير.

وفي الأخير أرجوا أن يكون هذا العمل قد بين الفكرة الأساسية للإشكالات المطروحة، ويبقى موضوع التعليم الحر في غرداية من المواضيع الهامة التي تحتاج لمزيد من الاهتمام والبحث، وأتمنى من الله أني قد أصبت في هذا العمل المتواضع وشكرا.

الملاحق

الملحق رقم 01 :

وثيقة كتبها أحد أصدقاء بوحميدة زيان يوم وفاته تعطي نبذة عن حياته وجدت في أرشيف عائلة بوحميدة

وثيقة سلمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة

الملحق رقم 02:

نموذج من التراخيص التي كان يستخرجها بوحميدة إسماعيل من الإدارة الاستعمارية لكي يستطيع تعليم القرآن الكريم

GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE

TERRITOIRE MILITAIRE
DE GHARDAIA

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

AUTORISATION N°33

C O P I E .-

Le Chef de Bataillon PROD'HOMME, Commandant par intérim le Territoire Militaire de Ghardaia, Chevalier de la Légion d'Honneur;

Vu la Loi du 20 Septembre I947, portant Staut Organique de l'Algérie ;

Vu le Décret du I8 Octobre I892 sur l'Enseignement Public et privé en Algérie ;

Vu l'Arrêté Gubernatorial en date du 30 Décembre I946, portant délégation de pouvoirs aux Commandants Militaires des Territoires du Sud et plus particulièrement l'Article 22 du dit arrêté ;

Vu le dossier présenté par M. BOUHAMIDA Smail ben Ziane en vue de l'ouverture à Ghardaia d'une École Coranique;

Sur avis de Monsieur l'Administrateur Chef d'Annexe de Ghardaia;

A U T O R I S E

Article Ier : Monsieur BOUHAMIDA Smail ben Ziane est autorisé à ouvrir à Ghardaia, une école coranique.

Article 2 : L'enseignement ne pourra être donné dans le local aménagé à cett effet à plus de 20 élèves.

Article 3 : Monsieur l'Administrateur Chef de l'Annexe de Ghardaia est chargé de l'exécution de la présente décision dont une copie sera remise à l'intéressé à titre d'autorisation .

Fait à LAGHOUAT, le 6 Mars I952.-

Signé : PROD'HOMME

Pour copie certifiée conforme.
GHARDAIA, le IO Mars I952.-
L'ADMINISTRATEUR des Services Civils, Chef d'Annexe ,

ANNEXE DE GHARDAIA
LE CHEF D'ANNEXE

وثيقة سلمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة

الملحق رقم 03: نبذة تاريخية عن المسجد المالكي العتيق بغرداية

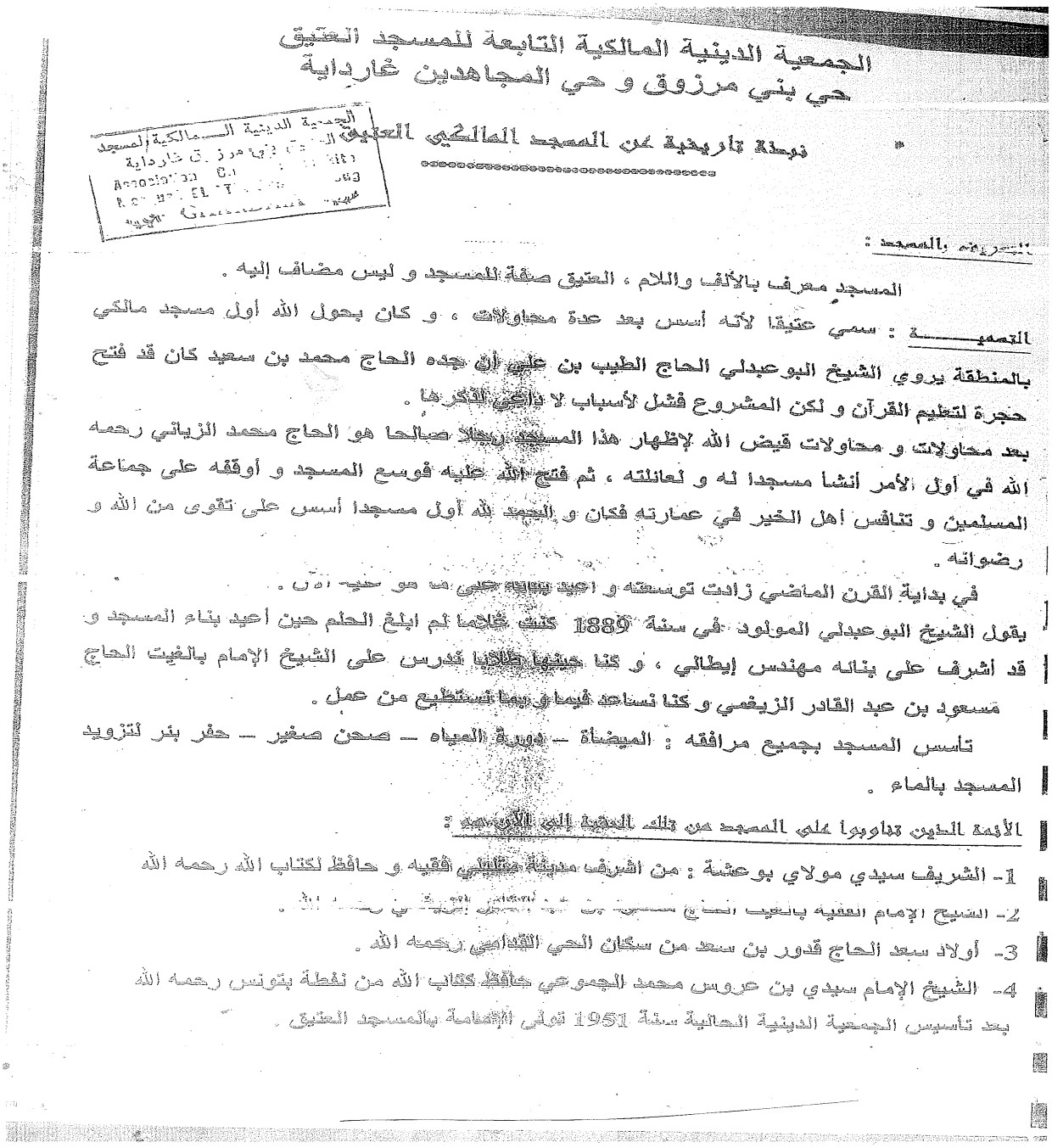

الجمعية الدينية المالكية التابعة للمسجد العتيق
حي بني مرزوق و حي المجاهدين غارداية

نبذة تاريخية عن المسجد المالكي العتيق

التعريف بالمسجد :

المسجد معرف بالألف واللام ، العتيق صفة للمسجد و ليس مضاف إليه .

التسمية : سمي عتيقا لأنه أسس بعد عدة محاولات ، و كان بحول الله أول مسجد مالكي بالمنطقة يروي الشيخ البوعبدلي الحاج الطيب بن علي أن جده الحاج محمد بن سعيد كان قد فتح حجرة لتعليم القرآن و لكن المشروع فشل لأسباب لا داعي لذكرها .

بعد محاولات و محاولات قيض الله لإظهار هذا المسجد رجلا صالحا هو الحاج محمد الزياني رحمه الله في أول الأمر أنشأ مسجدا له و لعائلته ، ثم فتح الله عليه فوسع المسجد و أوقفه على جماعة المسلمين و تنافس أهل الخير في عمارته فكان و الحمد لله أول مسجدا أسس على تقوى من الله و رضوانه .

في بداية القرن الماضي زادت توسعته و أعيد بناءه على ما هو عليه الآن .

يقول الشيخ البوعبدلي المولود في سنة 1889 كنت يافعا لم ابلغ الحلم حين أعيد بناء المسجد و قد أشرف على بنائه مهندس إيطالي ، و كنا حينها طلابا ندرس على الشيخ الإمام بالغيث الحاج مسعود بن عبد القادر الزيغمي و كنا نساعد فيما و بما نستطيع من عمل .

تأسس المسجد بجميع مرافقه : الميضأة – دورة المياه – صحن صغير – حفر بئر لتزويد المسجد بالماء .

الأئمة الذين تداوروا على المسجد من تلك الحقبة إلى الآن هم :

1- الشريف سيدي مولاي بوعشة : من أشراف مدينة مكناس فقيه و حافظ لكتاب الله رحمه الله

2- الشيخ الإمام الفقيه بالغيث الحاج مسعود بن عبد القادر الزيغمي رحمه الله .

3- أولاد سعد الحاج قدور بن سعد من سكان الحي القديم رحمه الله .

4- الشيخ الإمام سيدي بن عروس محمد الجموعي حافظ كتاب الله من نفطة بتونس رحمه الله بعد تأسيس الجمعية الدينية الحالية سنة 1951 تولى الإمامة بالمسجد العتيق .

فتيحة كرم وأخريات: المرجع السابق ص92

في يوم توقيف النار في 1962/03/19 على الساعة 9 صباحا رفعت راية الدولة الجزائرية في خراب المسجد العتيق و كان بحضور أفراد من جيش التحرير و مسئولين في الحركة الوطنية نذكر منهم السيد : الإمام بوزيدي محمد الصالح و ابنه السيد : بوزيدي علي بن محمد و بحضور الشباب كانت رفع الراية بأنشودة لتحيا الجزائر و شعب الجزائر لأول مرة على مستوى المنطقة .
خلال الفترة الإثنية أي العشرية السوداء من 1990 إلى 1999 كان المسجد وسيظل يحارب لانحراف و التطرف و مقاومة الأفكار الدخيلة على الدين و التيارات المنافية للسنة الصحيحة و مذهب المالكي الأصيل بفضل المخلصين .

* نرجو من الله سبحانه و تعالى التوفيق في الأقوال و الأعمال إنه على ما يشاء قدير و بالإجابة جدير **

الكاتب العام	المشـــــرف	رئيس الجمعية
السيد : رحالي اعمر	السيد : بوعبدلي الحاج علي بن الطيب	السيد : كروم السايح
10 ماي 1944	29 نوفمبر 1930	06 أفريل 1951

الجمعية الدينية المالكية
الرئيس
غرداية
المسجد العتيق

92

فتيحة كرم وأخريات: المرجع السابق ص93

الملحق رقم 04:

المسجد العتيق لضاية بن ضحوة

الملحق رقم 05:

المسجد العتيق بمتليلي الشعانبة

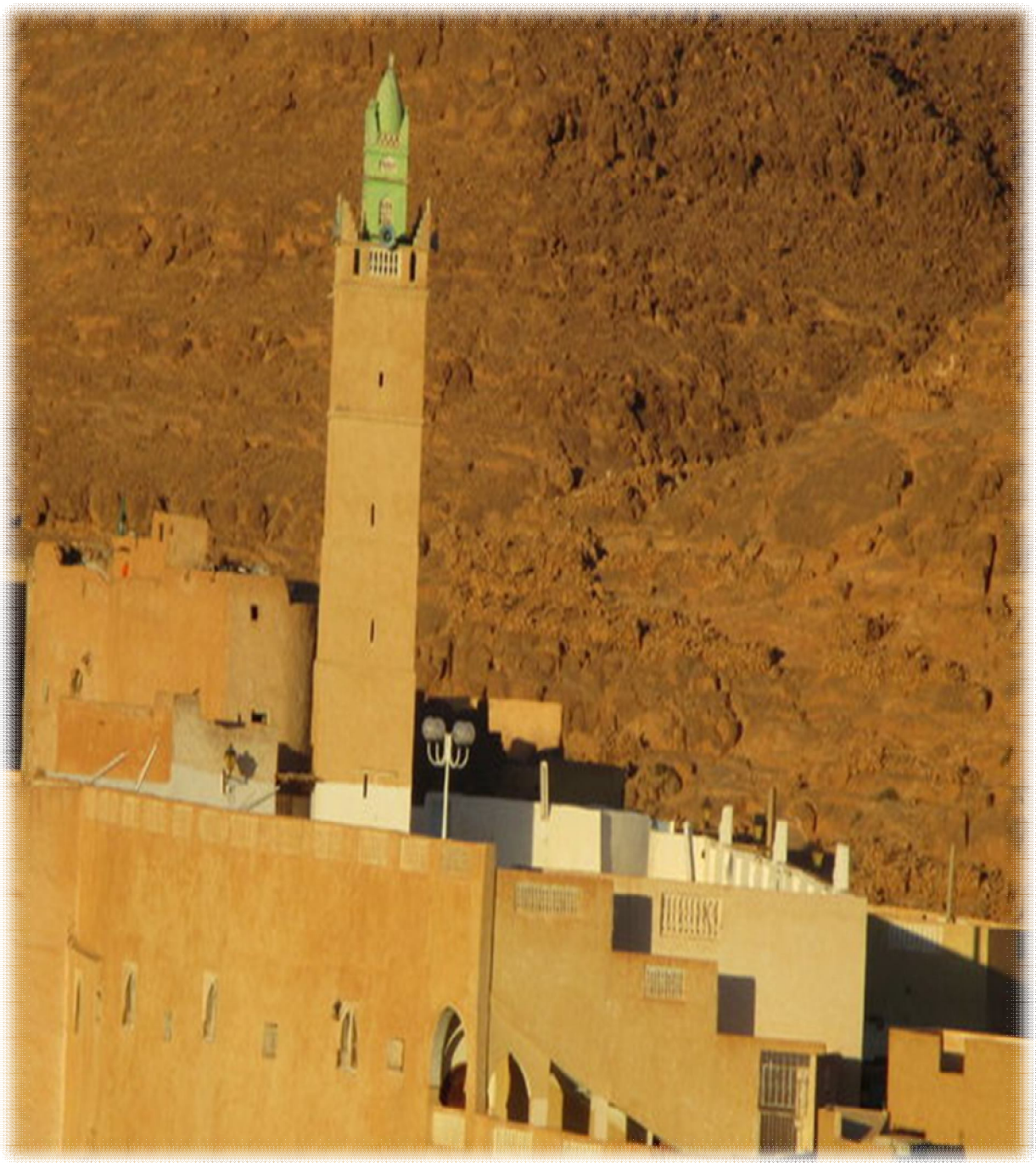

الملحق رقم 06:

مسجد سيدي سليمان القديم بحي حاضور

الملحق رقم 07:

مسجد سيدي سليمان الجديد

الملحق رقم 08:

المدرسة القرآنية (محضرة) للطالب علي رحمة الله

الملحق رقم09:الشيخ علي بن دية رحمه الله

الملحق رقم 10: أهم تلامذة الشيخ علي بن دیبة

الطالب بكار الشريف

الطالب عبد الله بيشي

الطالب عبد الرحمان مولاي عبد الله

الطالب الشيخ بوصيحة

الطالب عبد الله بن ديبـــــــــة

الطالب بوجمعة حوتية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1) البخاري: صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1990م.
2) بكلي عبد الرحمان بن عمر : **مسيرة الإصلاح في جيل (1918- 1948 م)**، تقديم، مصطفى صالح باجو، المطبعة العربية، ط1، غرداية، الجزائر، 2004م.
3) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: **سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر،2008م.
4) شالر وليام : **مذكرات شالر (قنصل فرنسا في الجزائر،1816ــ1828م)**، تر، تقديم، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر 1982م.
5) شريفي سعيد بن الحاج: **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تق، محمد صالح ناصر، جمعية الحياة وجمعية التراث،القرارة،ط2، غرداية، الجزائر، 2009م،ص 59.
6) فضلاء محمد الحسن: **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، القطاع الجنوبي**، ج1، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1999م.
7) فضلاء محمد الحسن: **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر**، ج2، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 1999م.
8) المغيلي محمد بن عبد الكريم : **مصباح الأرواح في أصول الفلاح حول يهود توات**، تقديم، رابح بونار، ش،و، ن، ت، ب ط، الجزائر، 1963 م.

المراجع:

1) أجرون شارل روجي: **المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية**، تر: محمد العربي ولد خليفة، تالة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013م.
2) إحسان صبحي: **النظام التربوي الاستعماري في الجزائر**، دار رياض العلوم للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2005م.
3) احميدة عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء.الجزائرية 1844 - 1916 م**، دار الهدي للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2009م.

4) أسماوي صالح بن عمر: **العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب**، مطبعة عربية، ط1، غرداية،الجزائر، 2005 م.

5) أعوشت سعيد بن بكير: **العلامة أمحمد بن يوسف إطفيش، حياته، آثاره الفكرية، جهاده**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1989م.

6) بحاز إبراهيم ، وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، مج1، جمعية التراث، ط1، غرداية، 1999م.

7) بحاز إبراهيم ، وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، مج2، جمعية التراث، ط1، غرداية، 1999م.

8)بحاز إبراهيم ، وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، مج4، جمعية التراث، ط1، غرداية، 1999م

9)بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر (1830ـــ1885)**، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2006م.

10) بن ولهة عبد الحميد: **الحركة الوطنية والثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا**،ج 1، دار صبحي للنشر والتوزيع، ط1، متليلي غرداية، 2013م.

11) بوالصفصاف عبد الكريم: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1954م)**، دار البعث للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981م.

12) بوحميدة إبراهيم: **ضاية بن ضحوة تاريخيا، قبل وأثناء ثورة 1954م**، ضاية بن ضحوة، ط1، غرداية، 2010م.

13) بيشي محمد عبد الحليم : **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، دار زمورة للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2013م.

14) الجزائري المختار بن العربي مؤمن: **العرف الناشر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر**، دار ابن الحزم للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت لبنان، 2004م.

15) الحاج سعيد يوسف بن بكير : **تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، مطبوعات وزارة الثقافة، ب ط، الجزائر2007م.

16) حساني مختار: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب**،ج2، دار الحكمة ، ط1، الجزائر، 2007م.

17) حلوش عبد القادر: **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2010م.

18) خالدي عبد الحميد: **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دارهومة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م.

19) دبوز محمد علي: **أعلام الإصلاح في الجزائر(1340-ـــ1395هـــ / 1921- 1975م)** ، ج1، مطبعة البعث، ط1،قسنطينة، الجزائر، ط1، 1974م.

20) دبوز محمد علي: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج1، مطبوعات وزارة الثقافة، 2007م.

21) الدهمة الأخضر: **قطوف دانية من آيات قرآنية**، ج2، مطبعة مداد، ط2، غرداية، الجزائر، 2010م.

22) زكرياء مفدي: **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**،تح، إبراهيم بحاز، مطبعة الفنون الجميلة، ب ط، الجزائر، 2010م.

23) سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 1990م.

24) سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1956م)**، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998م.

25) سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1998م.

26) سعيدوني ناصر الدين: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مؤسسة الوطنية للكتاب، ط خ، الجزائر 1985م.

27) شهبي عبد العزيز: **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، ب ط، وهران، 2007م.

28) شيبان عبد الرحمان: **من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، ب ط،دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

29) الطالبي عمار: **آثار الأمام عبد الحميد بن باديس**، ج3، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ب ط، 2009.

30) طلاي إبراهيم محمد: **المدن السبع في وادي ميزاب**، جمعية الثرات لبني يزقن، ب ط، غرداية، ب ت.

31) عمامرة تركي رابح:**الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط5، الجزائر، 2001م.

32) عمامرة،تركي رابح: **التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931- 1956م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1975م

33) عمامرة، تركي رابح: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004م.

34) كروم عبد الله: **الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات**، دار دحلب للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر، 2007م.

35) كواتي مسعود ، سيدي موسى محمد الشريف: **أعلام مدينة الجزائر ومتيجة**، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2007م.

36) المدني أحمد توفيق: **جغرافية القطر الجزائري**، دار الكتاب الجزائري، ط3، الجزائر، 1964م.

37) المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، ب ط، الجزائر، 2009م.

38) ناصر محمد صالح: **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، ، مكتبة الريام، ط1، الجزائر، 2005م.

39) ناصر محمد صالح: **مشائخي كما عرفتهم**، دار الريام للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008م.

40) ناصر محمد صالح: **معهد الحياة نشأته وتطوره**، جمعية الحياة وجمعية التراث،القرارة،ط2، غرداية، الجزائر، 2009م.

المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

1) **Amat Charles: Le Mzab et M'ZABITES, Edition CHALLAMEL ET Cie EDITEURS,1888.**
2) **Ben drissou Salah, Institut al Hayat,1925_1965,un exempie D'ecole reformist ebdit ou Mzab, mémoire de DEA uneversete paris, annes 1994.**
3) **Cauneille: LES CHAANBA- LEUR NOMADISME- paris. VII, 1968.**
4) **MAURY ALFRED: BULLETIN de la sociètè de géographie_ eme Série 18ème Time, 1859.**

المقابلات الشخصية:

1) مقابلة مع الشيخ الدهمة الأخضر، بمكتبته بمتليلي، يوم الثلاثاء 21 جانفي 2014م، على الساعة 9:40 إلى10:35.
2) مقابلة مع الطالب بن دية عبد الله ، نجل وأحد تلاميذ الشيخ علي رحمه الله، في مترله بمتليلي، يوم الاثنين 05 / 05/ 2014م، على الساعة 17:20 إلى 18:30.

3) مقابلة مع الطالب بن دية محمد ، حفيد الشيخ علي بالمنزل، يوم الاثنين 05/05/ 2014م، على الساعة 17:20 إلى 18:30.

4) مقابلة مع الطالب بوجمعة حوتية، أحد تلاميذ الشيخ علي رحمه الله، في منزله، يوم الجمعة على الساعة 14:30إلى 15:15.

5) مقابلة مع الطالب بوصيحة الشيخ ، أحد تلاميذ الشيخ علي، في مسجد سيدي سليمان، يوم الأحد 05/11/ 2014م، على الساعة16:30 إلى 17:20.

6) مقابلة مع الدكتور بيشي عبد الحليم ، بمنزله، يوم الخميس 22/ 05/ 2014م، على الساعة 16:30 إلى 17:20.

7) مقابلة مع الطالب بيشي عبد الله رحمه الله، أحد تلاميذ الشيخ علي رحمه الله، بمسجد سيدي سليمان، يوم الاثنين2014/05/05م على الساعة 17:00 إلى 17:30.

8) مقابلة مع الحاج لعمش حسين ، أحد تلاميذ الشيخ علي، بمنزل عبد الله بيشي رحمه الله، يوم الثلاثاء 2014/05/13م، على الساعة 22:15 إلى 23:20.

9) مقابلة مع السيد مصيطفى مصطفى ، أحد تلاميذ الشيخ علي، في منزله بمتليلي، يوم السبت 2014/05/10م، على الساعة 09:30 إلى 10:50 .

10) مقابلة مع السيد مولاي عبد الله عبد القادر، يوم الثلاثاء 2014/05/13م في مسجد سيدي سليمان بمتليلي، على الساعة 16:30إلى 17:00

11) مقابلة مع الطالب مولاي عبد الله قدور ، أحد تلاميذ الشيخ علي، في منزله بمتليلي، يوم الجمعة، 2014/05/09م من الساعة 15:10 إلى 15:50.

12) مقابلة مع السيد العناق الشيخ ، بالمنزل يوم السبت 10 نوفمبر 2014م، على الساعة 9:15 إلى 11:00 .

الشهادات الخطية:

1) شهادة خطية (**مختصر عن حياة الشيخ احمد بوكادي**)، سلمت لي من طرف محمد بن دية، متليلي 2014/05/05م.

2) شهادة خطية **(مختصر عن حياة الشيخ زيان بن الحاج إسماعيل)** سلمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة عن سليمان بوحميدة ، غرداية في 09مارس 2014م.

3) شهادة خطية (**مختصر عن حياة الشيخ محمد بن عمر بوحميدة**) قدمت لي من طرف الزميلة بوحميدة خيرة،عن جمال الدين بوحميدة، ، غرداية في يوم 2014/03/02م.

المذكرات الجامعية:

1. كرم فتيحة، وأخريات: **الحركة الإصلاحية في منطقة غرداية (1882- 1962)**، مذكرة تخرج ليسانس تاريخ حديث ومعاصر، جامعة غرداية،1431-1432هـ/ 2010-2011م.

المجلات:

1) أولاد سعيد أحمد: **"علماء مسجد خالد بن الوليد بمدينة غرداية ودورهم الريادي في العلم والوطنية"**، مجلة الواحات، ع 5، المطبعة العربية، 11 نهج طالبي أحمد، غرداية، 1430هـ/2009م.

2)البصائر:**لجنة التعليم العليا**، العدد 67، 14 فيفري 1949م.

3) البصائر، العدد 172، السنة الرابعة، 15 أكتوبر 1951م.

4) زرهوني الطاهر: **"التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال"**، مجلة الثقافة، العدد 95 سبتمبر، أكتوبر 1986م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر1986م.

5) المرحوم علي : **"تمويل التعليم العربي الحر"**، مجلة البصائر، العدد 101، السلسلة الثانية، 02 جانفي 1950م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

الإهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ.و

مدخل: التعريف بمنطقة غرداية

المبحث الأول: الدراسة الجغرافية والطبيعية..... 08

أولا: الموقع الفلكي والجغرافي..... 08

ثانيا: الخصائص الطبيعية..... 08

المبحث الثاني: الدراسة العمرانية والبشرية..... 12

أولا: تأسيس المدن..... 12

ثانيا: التركيبة السكانية..... 15

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية..... 19

أولا: الأوضاع الاجتماعية..... 19

ثانيا: الأوضاع الثقافية..... 21

ثالثا:الأوضاع الاقتصادية..... 22

الفصل الأول: التعليم في العهد العثماني وتطوراته أثناء الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: التعليم في العهد العثماني..... 27

أولا: السياسة التعليمية العثمانية 27

ثانيا: أنواع التعليم ومناهج التعليم في العهد العثماني..... 28

ثالثا: وسائل التعليم..... 32

المبحث الثاني: التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال وسياسة فرنسا اتجاهه..... 35

أولا: أوضاع التعليم العربي الحر أثناء الاحتلال..... 35

ثانيا: سياسة فرنسا اتجاه التعليم في المساجد والزوايا..... 36

ثالثا: سياسة فرنسا اتجاه التعليم في المدارس القرآنية..... 39
المبحث الثالث: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتعليم العربي الحر(1931- 1956) 41
أولا: التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين..... 41
ثانيا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ووسائلها التعليمية..... 43
الفصل الثاني: التعليم الحر في منطقة غرداية (1892-1962م)
المبحث الأول: التعليم الحر عند الإباضية..... 50
أولا: أهم مراكز التعليم الحر عند الإباضية..... 50
ثانيا: أهم رواد التعليم الحر عند الإباضية..... 54
المبحث الثاني: التعليم الحر عند المالكية 59
أولا: حالة التعليم الحر قبل قدوم الشيخ الفيلالي 59
ثانيا: أهم مراكز التعليم الحر عند المالكية..... 60
ثالثا: أهم رواد التعليم الحر عند المالكية..... 64
الفصل الثالث: الشيخ علي بن ديبة ودوره التعليمي(1892-1987م)
المبحث الأول: مولده ونسبه وتعلمه..... 74
أولا: مولده ونسبه..... 74
ثانيا: تعلمه وأهم مشايخه..... 75
المبحث الثاني: الشيخ علي بن ديبة ودورة التعليمي والاجتماعي..... 78
أولا: أهم المناطق التي درس فيها..... 78
ثانيا: منهجه التعليمي..... 81
ثالثا: منهجه الخاص..... 87
رابعا: دوره الإصلاحي والاجتماعي..... 88
المبحث الثالث: وفاته وآثاره..... 90
أولا: وفاته..... 90
ثانيا: آثاره..... 90
أهم تلامذته 92
الخاتمة 101

قائمة الملاحق 106
قائمة المصادر والمراجع 118
فهرس الموضوعات..... 125